إبراز شخصيّة الشّيخ الحاج مالك سه

من خلال داليّة الشّيخ علي غي

المسمّاة ب (إظهار النّيّة في تاريخ أفول شمسه السّنيّة)

إعداد

بابا عبد العزيز سه ابن المرحوم الشّيخ أحمد التّجاني سه محمود

تواون ـ سنغال

خطّة البحث

يأتي هذا البحث على فصلين بعد:

المقدّمة.

ـ أهمّية هذا البحث.

ـ أهدافه.

ـ إشكاليّة الموضوع.

ـ المنهج المتّبع في الموضوع.

- الفصل الأول: دراسة شخصيّة.

ويندرج تحته مبحثان:

ـ المبحث الأوّل: نبذة عن حياة الشّيخ الحاج مالك.

وتحته سبع نقاط:

النقطة الأولى: تعريفه.

النقطة الثّانية: أصوله من الجهتين. {الأب والأم}

النقطة الثّالثة: ولادته، ونشأته: (التّاريخ والمكان)

النقطة الرابعة: تعلّمه، والمراكز العلميّة التي مرّ بها.

النقطة الخامسة: مدرسته.

النقطة السّادسة: إنجازاته.

النقطة السّابعة: وفاته. وشيء ممّا قيل في حقّه من المراثي.

ـ المبحث الثّاني: نبذة عن حياة صاحب الدّاليّة: الشّيخ علي غي. رحمه الله.

وتحت هذا المبحث ستّ نقاط:

النّقطة الأولى: تعريف الشّيخ علي غي.

النقطة الثّانية: أصوله من الجهتين. {الأب والأمّ}

النقطة الثّالثة: ولادته ونشأته. {التّاريخ والمكان}

النقطة الرّابعة: تعلّمه وميزته العلميّة.

النقطة الخامسة: إنجازاته العلميّة.

النّقطة السّادسة: وفاته رحمة الله عليه.

• الفصل الثّاني: دراسة القصيدة وتحليلها.

ولهذا الفصل أيضا مبحثان:

ـ المبحث الأوّل: نبذة يسيرة عن القصيدة، وذلك في نقاط ثمان:

النقطة الأولى: عرض القصيدة بكاملها مع شرح لغويّ بسيط.

النقطة الثّانية: غَرض القصيدة وجوّها.

النقطة الثّالثة: بحر القصيدة وقافيتها.

النقطة الرّابعة: عدد أبيات القصيدة ونسخها الموجودة.

النّقطة الخامسة: الدراسات والمعالجات السّابقة للقصيدة.

النقطة السّادسة: نبذة عن النّاحية اللغويّة للقصيدة.

النقطة السّابعة: نبذة عن الجانب النّحوي للقصيدة.

النقطة الثّامنة: نبذة عن المنحى البياني للقصيدة.

ـ المبحث الثّاني: إبراز شخصيّة الشّيخ الحاج مالك.

ونعالج تحته ست نقاط مع الخاتمة:

النقطة الأولى: شخصيّة الشّيخ الحاج مالك الدّينيّة.

النقطة الثّانية: شخصيّة الشّيخ الحاج مالك الخُلقيّة.

النقطة الثّالثة: شخصيّة الشّيخ الحاج مالك العلميّة.

النّقطة الرّابعة: شخصيّة الشّيخ الحاج مالك الإصلاحيّة والتّربويّة.

النقطة الخامسة: شخصيّة الشّيخ الحاج مالك القياديّة.

النقطة السّادسة: الخاتمة.

والله ولي التّوفيق.

مقدّمة البحث:

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم، بسم الله الرحمن الرّحيم، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، والتّابعين وتابعي تابعيهم إلى يوم الدّين.

وبعد:

إنّ من نعم الله سبحانه وتعالى أن يمنّ لقوم سلفا صالحا يُقتدى بهم وتقتفى آثارهم ويستفاد من أقوالهم وحكمهم، ممّا يمكّن المقتدين المقتفين على اتّباع المنهج الصّحيح في كل ما يدخلون ويسلكون دينيّا أو دنيويّا. وحرصا على ذلك قمنا كعادتنا ـ في هذه العجالة التي ننجزها لتتبّع حياة شخصيّة دينيّة عظيمة لا شكّ أنّ دراسة حياته والتّأمّل فيها ممّا يفيد البشريّة جمعاء، لوفور وأمانة علمه وصفاء خُلقه وحصافة رأيه، وهو **السّيّد الشّيخ الحاج مالك سه**.

وإنّما قمنا بهذا العمل المتواضع عبر هذه المرثيّة التي ضربت أطنابها في بقاع السّنغال لرونقها وجمالها وتميّزها في وصف رحيل الشّيخ الحاج مالك إلى جوار ربّه رحمه الله، وكيف استقبل النّاس ذلك الحدث الجلل! بل وكيف استضافه الجوّ وقابله.

هذا، ونخبركم بأنّ هذا المنشور لم يتم الاهتمام به جيّدا، مراجعة وتصحيحا وتدقيقا؛ لضيق الوقت وتراكم الأشغال! إلّا أننا قد نشرناه على شكل إلكتروني، ويبقى بابنا مفتوحا بمصراعيه لكل من رأى أو لاحظ خطأ أو خللا أو نقصا أو قصورا أو ما إليها.

ونسأل الله تعالى أن يوفّقنا فيه، وأن يتمّه ويبارك فيه ويجعله خالصا لوجهه، إنّه الوليّ والقادر.

الباحث

775245169

أهمّيّة البحث:

لهذا البحث أهمّيّات كثيرة منها:

ـ تتبّع آثار السّلف الصّالح الذين قضوا حياتهم كلّها في الإصلاح والإرشاد والتّربية والتّعليم.

ـ الإسهام في إحياء اللغة العربيّة، عبر إحدى قصائد شعرائنا الأجلّاء.

ـ إبراز قدرة الأفارقة الشّعريّة.

ـ تحفيز الطّلبة الأفارقة وحثّهم على بذل الوسع في إبراز التّراث الإفريقي العريق والحفاظ عليه.

أهـدافـه:

يهدف هذا البحث إلى نشر التّراث الأدبي الإفريقي الذي ما زال تحت طيّ الهجران والنّسيان، والذي هو حافل من الفوائد والمنافع والمعلومات شأنَ كلّ ثراث الآخرين، ورأينا أنّه آن الأوان ليشارك كلّ أفريقي يتحرّك في ميدان العلم في نفض الغبار عن أضابيره، وإخراجه من حيّز الوجوم إلى سماء الوجود. وإنّ ذلك سيساعد على تصحيح كثير من الأخطاء التي شوّهت سمعة إفريقيا وخصوصا في تاريخها العريق.

إشكاليّة الموضوع:

للسّير في مضمار هذا البحث نرى أن نتحدّث عن أمور مهمّة وهي:

ـ الحديث عن نبذة يسيرة من حياة الشّيخ الحاج مالك سه رضي الله تعالى عنه.

ـ ذكر نبذة من حياة الشّيخ **علي كي** رحمه الله.

ـ عرض القصيدة بكاملها مصحوبة بشرح لغويّ بسيط.

ـ إبراز خمس من شخصيّات لاحظناها في المرثيّة.

هذه هي التي ننوي العكوف عليها والإجابة عليها بشكل ملخّص في هذا البحث.

المنهج المتّبع:

فالمنهج المتّبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي الوصفي، بجمع الأبيات ذوات الوحدة الموضوعيّة، وعزلها، ثمّ محاولة تلخيصها وتبسيطها لوضع اليد على الشّخصيّة التي تتحدّث عنها، ممّا يساعد على ترتيب القصيدة وتصنيفها. وهكذا، إلى أن تمّت القصيدة.

أمّا الأبيات أو الألفاظ التي ليست في صلب الموضوع، فقد تجاوزناها في الدّراسة، لكنّها ثابتة عند العرض مع شرح لغويّ بسيط.

الفصل الأول: دراسة شخصيّة.

ـ المبحث الأوّل: نبذة عن حياة الشّيخ الحاج مالك.

شخصيّة الشّيخ الحاج مالك:

ـ نبذة عن حياته:

تعريفه:

يقول في تعريفه الشّيخ محمّد تابان[1] في كتابه[2] "**هُوَ الإِمَامُ العَالِمُ العَلَّامَةُ، الشَّيْخُ الفَقِيهُ الصُّوفِيُّ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الفَهَّامَةُ، مَنْ فَاقَ أَهْلَ عَصْرِهِ بِالإِطْلَاقِ، وَطَارَ صِيتُهُ فِي جَمِيعِ الآفَاقِ، الحَبْرُ المُحَقِّقُ، الزَّاهِدُ الوَرِعُ المُتَوَاضِعُ العَابِدُ، الأَدِيبُ الحَسَنُ الأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ، فَرِيدُ عَصْرِهِ فِي العُرْبِ وَالعَجَمِ، المُجَدِّدُ لِلْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ عِنْدَ كُلِّ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ، يُبَصِّرُ الكَاشِفَ عَوِيصَاتِ المَسَائِلِ، زَادُ الرَّاحِلِ، وَمَأْوَى المُرْمِلِ النَّازِلِ، المُقْتَدِي بِأَفْضَلِ الخَلْقْ أَجْمَعِينَ، وَالخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الهَادِينَ المُهْتَدِينَ، عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، مَا تَرَنَّمَ عَلَى أَفْنَانِ البَانِ الحَمَامُ. الشَّيْخُ الأَشْعَرِيُّ اعْتِقَادًا، المَالِكِيُّ مَذْهَبًا، التِّجَانِيُّ طَرِيقَةً، الأُصُولِيُّ العَالِمُ بِفَنِّ الفُرُوعِ، النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ، البَيَانِيُّ العَرُوضِيُّ، العَالِمُ بِفَنِّ السِّيرَةِ، بَلِ المُحَرِّرُ لِسَائِرِ الفُنُونِ، العَارِفُ بِاللهِ**".[3]

---

[1] هو الشّيخ محمّد بن عبد الله الملك المجلسي، المعروف بمحمّد تابان الموريتاني، أحد تلامذة الشّيخ الحاج مالك سه رضي الله تعالى عنهما، وكان من الجماعة الذين كانوا يعينون الشّيخ في مطالعة الكتب وتآليفه، كما ثبت في كتاب أوضح المسالك صفحة 29 من الدّيوان. الجزء الثّاني.

[2] وهو كتابه مواهب الوهّاب المالك، في التّعريف بالشّيخ الحاج مالك.

[3] مواهب الوهّاب صفحة 78 في مجموعة قمنا بها مع كتاب تحفة الإخوان، للشّيخ إبراهيم جوب رحمه الله.

هذا الذي قاله الشّيخ محمّد تابان في التّعريف بالشّيخ. وتوجد تعريفات أخرى، إلّا أنّنا نكتفي بهذا التّعريف الجامع الشّامل، خوفا من الإطالة وفرارا من تضييع أوقاتكم الثّمينة! فنصوّب قلمنا بعد هذا إلى ذكر:

أصوله من الجهتين (نسبه)

وفي ذلك نقول: إنّه مالك بن عثمان[4] بن معاذ[5] بن محمّد بن علي بن يوسف الذي ينتسب إلى (صِين جلف)[6] وفي هذا قلت[7]:

هُـوَ ابْــنُ عُـثْمَانَ وَجَـدُّهُ مُعَاذْ بْــنُ مُـحَـمَّـدٍ فَـرَبُّـنَـا الـمَـعَـاذْ
بْنِ عَلِي وَهْوَ ابْنُ يُوسُفَ احْفَظَنْ عَـلَى الـنَّـبِـيِّ صَـلِّ ثُـمَّ سَـلِّـمَـنْ
فَـوَطَـنًـا وَقَــرْيَــةً وَمُـنْـتَـمَى قُـلْ جُـلُـفِي صِـينِي وَزِدْهُ قَـلْـقَـمَـا

أي: أنّ الشّيخ الحاج مالك جُلُفِيٌّ وطنا، وصِينِيٌّ قرية، وقَلْقَمِيٌّ نسبا، لأنّه ينتسب ـ من جهة أبيه ـ إلى شمس الدّين القَلْقَمِيّ.[8] ولذا قال الشّيخ عبد العزيز الدّبّاغ[9]

وَهَـؤُلَا أَبْـنَـاءُ شَـمْـسِ الـدِّيــنِ تَـتَـابَـعُــوا كُـلًّا لِـنَـشْرِ الـدِّيــنِ

ـ أمّا والد الشّيخ الحاج مالك (عثمان) المعروف ب (دِمْبَ خُرِيْجَ) فقد كان عالما شجاعا، لم يكن يهتمّ إلّا بما كان يخصّ أهل الفضل والصّلاح، ومع ذلك لم يتجاوز من العمر ثلاثين سنة.

---

[4] ويدعى أيضا (دِمْبَ خُرَيْجَ).

[5] ويسمّى (دِمْبَ بُنَّ).

[6] صين جلوف: قرية في جلوف، وجلوف منطقة سنغاليّة تقع في وسطها الشّرقي، وكانت مملكة واسعة النّطاق، في القرن الثّالث عشر. انظر (صفحات من تاريخ السّنغال عبر العصور) صفحة (49) تأليف البروفسور عثمان انجاي. مطبعة خطاب، 47 شارع قصر النّيل ـ القاهرة.

[7] في قصيدة رجزيّة قلتها في حياة الشّيخ وترجمته.

[8] والقَلْقَمَة قبيلة عربيّة من بلاد شنقيط. انظر كفاية الرّاغبين صفحة 66 بتحقيق الأستاذ الحاج عبد امبنغ.

[9] في كتابه زاد المشمّر صفحة 541 من الدّيوان، الجزء الثّاني.

ـ وأمّا أمّه فهي السّيّدة الحنون (فاطمة وادّ وله) المألوفة ب (فَاوَادّ وله) بنت السّيّدة (بُتِة فَيْ)[10] بنت السّيّدة (فاطمة الأنصاريّة). فالشّيخ من ناحية أمّه أنصاريّ. وفي جهة أمّه قلت:

فَـأُمُّـهُ فَـاطِـمَـةٌ وَرَخَّـمُـوا بِـنُـطْـقِ فَاوَادَّ وِلِـهْ. تَـرَحَّـمُـوا[11]
انْحَدَرَتْ مِنْ بُتِ فَيْ، وَفَاطِمَةْ[12] قُـلْ أُمُّـهَـا فَـصَـدِّقَـنْ يَا رَائِـمَـهْ

هذا، وكانت الوالدة من ذوات الصّلاح والعفاف، والإيثار وحبّ الخير للنّاس، ولم يكن يهمّها إلّا العناية بأبناء القرآن.

وانطلاقا من هذين الوالدين الكريمين نتوغّل في شيء مهم من حياة ولدهما وهو:

---

[10] أصل الاسم هو (بِنْتُ) وأمّها كانت تدعى (مِنْتُ الخير) إلّا أن أهل (والو) كانوا يرخّمونه، إلى أن أصبح هكذا. المرجع: الأستاذ عثمان انجاي، مؤلّف سيرة الشّيخ الحاج مالك، نقلا عن السّيّد {سعيد وله} رحمه الله.

[11] أي: قولوا رحمة الله عليه.

[12] الأنصاريّة.

ـ **ولادته ونشأته** (التّاريخ والمكان وشيء من قصّة تعارف الوالدين)

وكما تعلمون بأنّ الشّيخ الحاج مالك، رضي الله عنه، قد نشأ بين والدين كريمين عفيفين معروفين مميَّزين من أهل الصّلاح والإصلاح. وهكذا فإنّه ولد في قرية {اندُوفَالْ}[13] سنة 1853م[14].

وقد قلنا بأنّ والده الشّيخ (عثمان) كان عالما، وأنّه كان يحبّ العلم ويبحث عنه في أيّ مكان.

---

[13] وتسمّى أيضا {كْـاية} وهي تقع من ناحية الشّمال على ضفّة نهر السّنغال، شمال {دَكَانَ}. ومنهم من قال بأنّ {ندوفال} حيّ من أحياء {كْـاية} وليس اسما لها. انظر كتاب شخصيّة الشّيخ الحاج مالك، دراسة تحليليّة نقديّة، لنخبة من أبناء الحضرة المالكيّة التّواونيّة. صفحة (15).

وفي هذا قلت:

اِزْدَادَ فِـي مِـنْطَقَةٍ ڈُوفَـالُ قُـلْ اِسْـمُـهَـا بِـكْـايَ ذَ ا مَقَـالُ

وَقِـيـلَ اِسْـمَـانِ لِـقَـرْيَـةٍ رَأَى اَلـنُّـورَ فِـيـهَـا شَـيْـخُـنَـا وَمَـا نَـأَى

[14] هذا التّاريخ هو الثّابت عند ابنه الشّيخ عبد العزيز سه الدّبّاغ في كتابه أوضح المسالك. صفحة 17 من الدّيوان، الجزء الثّاني. مع أنّه تُنسب إليه تواريخ أخرى ميلاديّة وهجريّة، ولكنّنا نقدّم هذا التّاريخ لأمور يضيق هذا البحث الموجز لذكرها، فمن أراد التعمّق في هذا فننصحه لزيارة كتاب شخصيّة الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه صفحة {15} ولقد قلت في مولده:

وَلَـيْسَ فِي مَوْلِدِهِ اخْـتِـلَافُ بَـيْـنَ الـمُؤَرِّخِـيـنَ اِخْـتِـلَافُ

فَـمَـا بِـهِ أَتَى ابْـنُـهُ الـكَـرِيـمُ عَـبْـدُ الـعَـزِيـزِ الـمُـنْـصِـفُ الـحَـلِـيـمُ

ثَـلَاثَـةٌ تَـالِـيَـةً خَـمْـسِـيـنَـا مِـنْ بَـعْـدِ أَلْـفٍ ثُـمَّـس "حَـا" مِـئِـيـنَـا

وَقِـيـلَ غَـيْـرُهُ لَـدَى الـتَّـأْرِيـخِ فَـالِاخْـتِـلَافُ سُـنَّـةُ الـتَّـارِيـخِ

هذا، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التّاريخ يتنافى تماما مع ما اشتهر من أنّ الشّيخ الحاج مالك عاش 66 عاما، كما قاله الدّبّاغ في ديوانه صفحة 98:

وَعُـمْـرُهُ صَـوٌّ بِـلَا بُـهْـتَـانِ فِي شَـهْـرِ ذِي الـقَـعْـدَةِ يَـا إِخْـوَانِـي

والله تعالى أدرى وأعلم.

وكان أبوه (معاذ) يطوف به الآفاق ويجوب به البلاد لملاقاة علماء الوقت، إلى أن وفّق بلقاء بعض العلماء الموريتانيّين والسّنغاليّين، وخاصّة السّيّد {محنض بابه} الدّيماني الموريتاني، فأفاده هذا الأخير بعلمه إفادة تامّة جمّة ودعا له بالخير والبركة[15] ثمّ لمّا انتقل الشّيخ {عثمان} منه، مرّ بعالم سنغالي من كبار علماء وقته! وهو الشّيخ {مالك صو}[16] وانتفع به ما شاء الله أن ينتفع به، ثمّ غادر متوجّها إلى أهله بعد أن قضى حاجته العلميّة وأنجز مهمّته الثّقافيّة، شأن كلّ ذي عفاف ومروؤة.

وعند رجوعه نزل بقرية قرب {دكانة} [17] للتعارف مع السّيّد الأديب والشّيخ الأريب {الفاهم يورو وله} فتحدّثا معا في أمور الدّين والعلم، وعرف كلّ واحد منهما قيمة الآخر، فرأى السّيّد {الفاهم} أنّ هذا الرّجل العالم يصلح لشقيقته {فاطمة واد وله} وهذه الأخيرة أيضا تصلح له؛ لأنها كانت في مستوى لم تكن تستطيع أن تكون تحت ظِلّ كلّ رجل! لأنها كانت من اللواتي يرين الصّلاح والإحسان أكثر ممّا يرين المال!

---

[15] انظر كتاب مجهول الأمّة السّنغاليّة، للمكتوم السّيخ أحمد التّجاني سه. صفحة 15.

[16] ويبدو أن هذا العالم كان في {كاية}.

[17] واسم القرية إمّا {دوفال} أو {كاية} حسب الخلاف السّابق ذكره في هامش الصفحة السّابقة.

وقد توسّم الشيّخ {الفاهم} من وجه هذا الرّجل {عثمان} لائحة من لوائح الخير ما يدفعه إلى أن يقترح عليه الزّواج من شقيقته {فاطمة} فكان ما كان[18].

فبعد عقد الزّواج وإقامة حفلاته، شقّ الشّيخ عثمان طريقه نحو أهله في {جُلُوفْ}[19] ثمّ بعد قدومه بقليل توفّاه الله بسبب إغارة حدثت في (جلوف) وخاصّة عند أهل {كَيَلْ} فتدخّل فيها الشّيخ عثمان دفاعا عنهم وعن الإسلام، فشاء الله أن استشهد[20] في تلك الحرب عن عمر لم يتجاوز ثلاثين سنة، وتاركا في بطن حليلته جنينا، أوصى بأن يسمّى {مالكا} عند بعد ولادته إن كان ذكرا، تسمية للشّيخ {مالك صو}.[21]

---

[18] هكذا جاءت القصّة في كتاب مجهول الأمّة السّنغاليّة، للشّيخ أحمد التّجاني سه المكتوم، صفحة 15. لكن توجد رواية أخرى حكاها الدّبّاغ رضي الله تعالى عنه في كتابه {أوضح المسالك} صفحة (17) من الدّيوان، وهي أنّ الوالد الشّيخ {عثمان} كان يدرس في موريتانيا عند الشّيخ محنض بابه، وكان له حاجة إلى كتاب صعب في ذلك الزّمن عزيز المنال، فأُخبر بأنّه يوجد لدى شيخ اسمه {جرن مالك صو}، فرحل إليه، فقضى الله الزّواج بينه وبين والدة الشّيخ الحاج مالك {فاطمة وادّ وله} لأنّها كانت في نفس المكان، أخذا لما قدّمنا من أنّه لم يكن يهمّها إلّا رعاية أبناء المسلمين، والعناية بهم، ولاسيّما أبناء القرآن منهم.

هذا. إلّا أنّني رأيت أنّ هذا من ناحية اختلافٌ لفظي فقط، إذ إنّ كلتا القصّتين أثبتت أنّ الشّيخ {عثمان} زار موريتانيا وانتفع بالشّيخ محنض بابه، و زار بعد ذلك الشّيخ {مالكا صو} سواء كانت الزّيارة بسبب الكتاب أو بمجرّد زيارة عالم أخاه العالم. وهذا ممكن وواقع في كلّ زمان. أمّا ما يتعلّق بالعقد، فيمكن أن يكون العاقد هو الشّيخ {الفاهم} كوليّ، أو الشّيخ {مالك صو} كوصيّ، وكلا الأمرين صحيح. فالمهمّ هو أن يكون الزواج قد وقع بينهما فقضى الله بزوع هذا الابن الصّالح المجدّد للدّين معالمه المندرسة، وعلاماته المنطمسة {مالك بن عثمان} رضي الله ت عنهم أجمعين.

[19] سبق تعريفها

[20] انظر القصّة في كتاب مجهول الأمّة السّنغاليّة ص 17 ـ 18 ـ 19.

[21] هذا قول. وقد أثبت الشّيخ بنفسه ـ في مقدّمة كتابه {فاكهة الطّلّاب} أنّه سميّ الإمام مالك، حيث قال:

يَقُولُ أَفْقَرُ العَبِيدِ الصِّينِي رَاجِيَ عَفْوِ المَانِعِ الحَصِينِ
المَغْرِبِيُّ المَالِكِيُّ الأَشْعَرِي سَمِيُّ مَالِكِ الإِمَامِ الأَشْعَرِ

وقد تكون التّسمية مباشرة أم غير مباشرة والعلم عند الله.

وهكذا توفّي الشّيخ {عثمان} دون أن يرى ولده الذي سيكون له شأن عظيم في العلم والمعرفة، وسيكتبه التّاريخ في أغلى صفحاته الذّهبيّة، للقيام بأمور الدّين، وتقويم أوده، وإقامة أركانه!

وما علينا الآن إلّا أن نبحث عن شأن هذا الطّفل ـ بعد أن رأى النّور ـ فيما يتعلّق ب:

تعلّمه، والمراكز العلميّة التي مرّ بها:

يخبرنا الشّيخ محمّد تابان العلوي، في كتابه [22] نقلا عن صهر الشّيخ وخاصّته الشّيخ الحاج {عبد فات انيانغ}[23] أنّ الشّيخ الحاج مالك قد بدأ دراسته القرآنيّة عند عمّه السّيّد أحمد سه[24]. ثم لما حفظ كتاب الله بعد مدّة، دفع له شيئا من الكتب وأمره بزيارة أمّه ليعلّمها بأنّه قد حفظ كتاب الله.

وبعد ذهابه وقعت فتنة في {جلوف} فانتقل العمّ {أحمد} إلى (سالم)[25] فمكث الشّيخ الحاج مالك عند أمّه في (ندوفال) مدّة ذهب بعدها إلى (بدور)[26] عند الشّيخ {محمّد توب} يجوّد عنده كتاب الله ويحسّن نطقه. وعند ذلك أمره رجل[27] ـ من رجال جاؤوه

---

[22] مواهب الوهّاب المالك، صفحة 83، من المجموعة.

[23] هو أحد تلامذة الشّيخ الحاج مالك، وهو الذي خلّفه الشّيخ في {انجارند} عندما ارتحل منها. وكان عالما بالفقه فاهما بدقائقه، وكان من أهل {جلوف}، وهو الذي تزوّج بابنة الشّيخ {فاطمة الصّغرى} بنت السّيّدة {صفيّة انيانغ} رضي الله تعالى عنهم. انظر ترجمته في كتاب (تحفة الإخوان) للشيخ إبراهيم جوب. صفحة 45 من المجموعة.

[24] هو شقيق والده {عثمان}

[25] (سالم) منطقة سنغاليّة.

[26] (بدور) منطقة من مناطق (فوتا)

[2727] اسمه (محمّد صاوْ)

يسألونه عن حفظه كتابَ الله، فأخبرهم بأنّه قد حفظ كتاب الله ـ بأن ينتقل إلى بلدة (كجور) لطلب العلم، ثمّ ذهب به إليها.[28]

وأوّل من لقيه الشّيخ في (كجور) هو الشّيخ {مكي حوى}[29]. ثمّ الشّيخ {مور جوب}[30] ثمّ الشّيخ {كَلُ سَيْ}[31]. ثمّ إلى الشّيخ {مسلّهْ مانه}[32]. فالشّيخ {إبراهيم جخت}[33].

فهؤلاء هم شيوخه في (كجور). ثمّ إنّ الشّيخ رأى أنّه ينبغي أن يواصل مشواره العلمي، لكن مع شيء من التّحضّر، لما كان يعرفه من الخشونة آنذاك من طبائع أهل البداوة، ولم يكن يودّ أن يكون كذلك! وبالتّالي فلا بدّ بملاقاة أهل الحضارة من الأساتذة الذين يواكبون بعلمهم الحال والزّمان، ويحقّقون للدّين رجاءه من الإنسانيّة، ولذلك انتقل إلى شبه جزيرة {سينلويس} ليتلقّى عند الشّيخ {أحمد انجاي مابيي} كتاب (المقامات الحريريّة)[34]. وهناك بقي مدّة لا بأس بها، يدرس ويدرّس، ويتعارف مع زملائه معاملَهم أحسن معاملة وأجملها! إلى أن اشتاق إلى رؤية أمّه في (اندوفال) وزيارة أخواله الكرام، فتحرّك نحوهم.

---

[28] (كجور): منطقة سنغاليّة، تقع حاليا بين المحيط الأطلنطي وجلوف وسين سالم، وكانت مملكة يدعى الملك فيها باسم (دامّيل). صفحات من تاريخ السّنغال، رقم (50)

[29] في قرية (كدّ دمب) ثمّ درس عنده {مختصر عبد الرّحمان الأخضري}.

في قرية (كر كُدُّ ألسان) ودرس لديه {رسالة ابن أبي زيد القيرواني}.[30]

[31] في قرية (طَيْبَ سَيْ) فقرأ عليه {الأجروميّة، و ملحة الإعراب، وكتاب التّصريف، والمقدّمة الكُكّيّة}.

[32] في قرية {جلّة درمان} فأخذ عنه (ألفية ابن مالك)

[33] في قرية (انجابالي) فتلقّى منه (مختصر الشّيخ خليل بن إسحاق). انظر كلّ هذه في كتاب (مواهب الوهّاب المالك ص 84 في المجموعة).

ويوافقه المكتوم في كتابه (مجهول الأمّة السّنغاليّة) في كلّ هذه، إلّا أنّ الأخير لم يذكر الشّيخ (إبراهيم جخت). ولم يثبت عنده أخْذُ الشّيخ الحاج مالك رضي الله تعالى عنه، (كتابَ التّصريف، والمقدّمة الكُكّيّة) من الشّيخ (كَلُ سَيْ).

[34] انظر (مجهول الأمّة) ص 21.

لكن قبل أن يحقّق رغبته هذه، اعترضته رغبة أخرى وهي توق نفسه إلى زيارة فحول الطّريقة التّجانيّة، فحرّك عاملتيه نحو (شنقيط) زائرا الشّيخ {محمّد عالي} اليعقوبي، الذي سبق لقاؤه به عند خاله (الفاهم يرو وله) وزاره هذه المرّة لمباحثته، وليحظى أيضا بنسخة من كتاب (منية المريد)[35] ثمّ إنّه أمره الشّيخ محمّد عالي اليعقوبي بالعودة إلى بلدة (سنغال) لشدّة احتياج النّاس إلى مثله، وأعلمه بأنّ مهمّته الأساسيّة هي إرشاد النّاس مهما أمكن إلى ذلك. وأمره أيضا بالحذر على مخالطة النّاس إلّا بالضّرورة، وأن تكون بقدرها. ثمّ أمره ثمّ أمره....[36]

وهكذا رجع الشّيخ الحاج مالك إلى قرية أمّه بعد خمسة وعشرين يوما[37]، ولم يَجُلْ في خاطره إلّا حجّ بيت الله الحرام، وزيارة الروضة الشّريفة على الرّاقد فيها أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم. ولقد شاء الله أن يحقّق له هذا الرّجاء بفضله وعونه عام 1888م[38].

وبعد عودته من حجّه قام بتأسيس مجلس علميّ إسلاميّ صوفيّ يمكن تسميته بـــ:

---

[35] المرجع السّالف ص 21 ـ 22. ومنية المريد: كتاب في الطّريقة التّجانيّة وفقهها، ألّفه أحمد بن بابا العلوي الشّنقيطي.

[36] توجد الوصيّة في كتاب مجهول الأمّة صفحة 22، وفي تحفة الإخوان أيضا صفحة 8 ـ 9 ، باختلاف يسير. لكنّها في الكتاب الأخير منسوبة إلى الشّيخ الحاج **محمّد فال** بن الفَغَ! إلّا أنّ ما أثبته الشّيخ الحاج مالك في كتابه إفحام المنكر الجاني صفحة 14 الجزء الرّابع، من الدّيوان الجديد المطبوع في مطبع أبي رقراق (المملكة المغربيّة) هو أنّ الوصيّة للشّيخ **محمّد عالي** اليعقوبي، وأنّ الحاج **محمّد فال** بن الفغَ بن لُول، كان ثاني اثنين الذين أرسلهما حسّان الطّريقة **أحمد بن بدّ** خليفة الشّيخ **محمّد الحافظ** إلى الشّيخ الحاج مالك، ليأذنا له جميع ما يحبّ في الطّريقة. والرّسول الآخر هو **محمّد الحافظ** بن خير. انظر الإفحام صفحة 15 من الجزء الرّبع من الدّيوان.

[37] كما أثبته الشيخ محمّد تابان في كتابه **مواهب الوهّاب** صفحة 85 من المجموعة.

[38] على الأصحّ والأشهر. انظر كتاب شخصيّة الشّيخ الحاج مالك صفحة 21 وانظر الهامش أيضا.

مدرسته:

يصف لنا هذه المدرسة المالكيّة الشّيخُ سعد أبيه[39] حيث يقول:

مَدَارِسُهُ فِي العِلْمِ خَيْرُ مَدَارِسٍ وَأَوْرَادُهُ فِي الذِّكْرِ مَا مِثْلُهَا وِرْدُ

بعد عودة الشّيخ الحاج مالك رضي الله تعالى من حجّه ومكث في (اندر) سنة كاملة[40] وعاش هناك أمورا لا تكاد توصف من التّضييق والتّشويه والوشاية ما لا يكاد يطاق[41] ولم يزل يجول في خاطره ما أمره به الشّيخ محمّد عالي اليعقوبي من العودة إلى السّنغال وإرشاد من فيها مع ما رآه بأمّ عينيه من أناس لا يعرفون الدّين إلّا تحت شحنة العادة، ولا العلم إلّا تحت نسيج التّقليد[42] مع تأثّرهم تأثّرا كبيرا بطبائع أهل الجبابرة ـ فكّر في استراتيجيّة دقيقة لمحاربة هذه الأمور، وكانت نتيجة فكرته أن أسّس مدرسة يعلّم فيه النّاس ويربّيهم ويزكّيهم فيها، فلم يتردّد في ذلك؛ بل شرع في إقامة مدرسة في (انجارند)[43].

وهكذا أقام في (انجارند) سبع سنوات. ثمّ انتقل إلى مدينة اليمن والبركة (تواون) مركز الطّريقة التّجانيّة في السّنغال.

إذن، مع ما سبق يمكن تقسيم مدرسة الشّيخ الحاج مالك رضي الله تعالى عنه إلى مرحلتين، وفي مكانين مختلفين: المرحلة الأولى: هي التي قضاها الشّيخ في:

---

[39] هو الشّيخ سعد أبيه بن الشّيخ محمّد فاضل بن محمّد الأمين الملقّب ب مَامينا القلقمي. ولد سنة 1848م في منطقة الحوض الشّرقيّ من موريتانيا على بعد 70 كيلومترا غربي مدينة النّعمة، ببلدة عين الفتح بمنطقة الرّك قرب محمودة. وتوفّي عام 1917م. رحمه الله تعالى. انظر (العالم المتصوّف الموريتاني الشّيخ سعد أبيه؛ حياته ودوره في ضفّتي نهر السّنغال، تأليف د. محمّد الأمين أن باريك، جامعة حائل، السّعوديّة)

[40] انظر مجهول الأمّة صفحة 25.

[41] انظر المرجع السّالف، صفحة 26 ـ 27.

[42] كما عبّر به المكتوم في كتابه مجهول الأمّة، صفحة 25.

[43] وهي قرية في مقاطعة تواون، إقليم تياس.

• **انجارند:** هذه المرحلة العلميّة التي دام عمرها سبع سنوات. وكان الشّيخ يدرّس فيها علوما شتّى وفنونا مختلفة؛ يفد إليها النّاس من كلّ حدب وصوب. منهم مبتدئون[44] ومنهم مستزيدون، كما أنّ منهم من يطلب التّقديم؛ لأنّ هذه المدرسة كانت تمثّل جامعة علميّة رفيعة المستوى.

وأمّا المرحلة الثّانية فهي مدينة:

• **تواون:** وهي التي دامت تقريبا عشرين سنة، ابتداء من 1902م إلى أن لقي الشّيخ ربّه، وانتقل إلى جواره رضي الله تعالى عنه.

ولقد وصف هذه المدرسة الكاتبُ الأروبي (بول مارتي) عندما زار الشّيخَ فيها قائلا: " إِنَّ الخَاصِيَةَ المميّزَةَ لِزَاوِيَةِ الحَاجِ مَالِكٍ بِتِوَاوُنْ، هِيَ أَنَّهَا تُشَكِّلُ جَامِعَةً شَعْبِيَّةً حَقِيقِيَّةً، فَهِيَ تُكَوِّنُ عَدَدًا ضَخْمًا مِنَ الأَسَاتِذَةِ وَالمعَلِّمِينَ لِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، ثُمَّ يَنْتَشِرُونَ عَبْرَ البِلَادِ، وَيُكَوِّنُونَ بِدَوْرِهِمْ كَوْكَبَةً، أَيْ: جَمَاعَةً مِنَ الأَسَاتِذَةِ، يُسَاعِدُونَ عَلَى نَشْرِ مَبَادِئِ التَّعَالِيمِ الإِسْلَامِيَّةِ".[45] وَأَيْضًا قَالَ: " وَكَانَ تَعْلِيمُهُ (الحَاجِ مَالِكٍ) مِنْ أَحَدِ العَوَامِلِ القَوِيَّةِ لِانْتِشَارِ عُلُومِ القُرْآنِ وَتَعَالِيمِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِالسِّنِغَالِ فِي الرُّبُعِ الأَخِيرِ مِنَ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ"[46].

نعم إن الشّيخ لمّا قدم إلى (تواون) باقتراح من تاجرين يحمل أحدهما اسم {جبريل غي} والآخر {جبريل توب} حيث اقترحا عليه ذلك باشتراء دار له في (تواون) ليسكن فيها مقابل القيام بتفسير القرآن الكريم لهما ولغيرهما[47]. فإنّهما بعد قدومه واستقراره في (تواون)

---

[44] وهم قليلون في هذه المرحلة.

[45] انظر كتاب الفيّاض، للشيخ الحاج عبد العزيز سي الأمين. صفحة 83

[46] الفيّاض. صفحة 83

[47] انظر كتاب أوضح المسالك للشّيخ الحاج عبد العزيز سه الدّبّاغ، صفحة 58 من الدّيوان.

قام بنفس ما قام به ﷺ؛ وهو بناء مسجد يؤدّي فيه الصّلوات الخمس، وباقي العبادات، وقد سمّى مسجده هذا (زاوية) توسّعا.

وفيها (الزّاوية) أقام مدرسته التي وصفها (بول مارتي) هذا الوصف الدّقيق المتقدّم.

وكان الشّيخ يدرّس في هذه المدرسة علوما شتّى ومن ضمنها: علوم التّوحيد، وعلوم القرآن، وباقي العلوم الشّرعيّة؛ كالفقه والحديث والأصول والسّيرة النّبويّة، وكذلك العلوم اللغوية إضافة إلى العلوم البشريّة، وفي هذا يقول الشّيخ الهادي[48] رضي الله تعالى عنه:

مُـدَرِّسًا كُـلَّ عِـلْـمٍ كَـانَ مُـنْـدَرِسًا بَـيْـنَ الـمَـدَارِسِ بِـيضَـانًـا وَسُـودَانَـا
مُوَضِّحًـا كُـلَّ إِشْـكَالٍ عَـلَى الفُقَهَا مِـنَ الـشَّـرِيـعَـةِ حَـتَّـى بَـيِّـنًـا كَـانَـا

ويقول ابنه الشّيخ أبوبكر:

وَكُـلُّ فَـنٍّ لِـسَـانُ الـحَـالِ قَـالَ لَـكُـمْ أَلْـقِ الـعَـصَـا تَـلْـقَ مِنْ تَيْسِيرِ مَا عَسُرَا

هذا، ومع اهتمامه بتعليم النّاس، فقد كان أيضا مربّيَهم ومزكّيهم ومرقّيهم. وكان يفضّل في طريقة تربيته (الطّريقة الأصليّة)[49] لما كان يفهم من خطورة الطّريقة الاصطلاحيّة[50] .

وهكذا إلى أن أصبحوا جميعا مرايا تنعكس عليها صورة الشّيخ الحاج مالك، ثمّ قام الشّيخ بنصب كثير منهم في أماكن مختلفة داخل البلد (السّنغال) وخارجها توسيعا لنطاق الدّعوة

---

[48] هو الشّيخ محمّد الهادي توري ابن الشّيخ شئث توري السّاكن في فاس توري، إقليم لوغا، واحد من تلامذة الشّيخ وأصهاره، وأيضا من بين الذين كان الشّيخ يطالع معهم الكتب ويؤلّف، رضي الله تعالى عنه.

[49] كما ذكره في كتابه الإفحام نقلا عن الشّيخ أبي العبّاس الخضرميّ في قواعد التّصوّف للشّيخ زرّوق قائلا: "انقطعت التّربية بالاصطلاح، ولم يبق إلّا الإفادة بالهمّة والحال (أي: الأصليّة) فعليكم بالكتاب والسّنّة من غير زيادة ولا نقصان....." الإفحام صفحة 54 من الدّيوان الجديد. والتربية الاصطلاحيّة هي العكوف على العبادات، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخارف الحياة الدّنيا وزينتها. الفيّاض، للشّيخ عبد العزيز سه الأمين، رحمه الله ورضي عنه. صفحة 18.

[50] التّربية الاصطلاحيّة: هي: المبالغة في المجاهدة، والمكابدة والرّياضة البدنيّة، وإرهاق النّفس، والإكثار من دخول الخلوة.... المرجع السّالف، والصّفحة.

وانتشار الدّعوة ونشر دين الله، ومن بين المبعوثين داخل البلد:

الاسم	الموقع
الشيخ علي جوب ميمونة	كَايـــة(gaya)
الشيخ إبراهيم جـوب	سِنْلِوِيسْ (اندَرْ)
الحاج عبد الحميد كن	كَاوْلَاكْ
الحاج روحان انغوم	ثَال (PAL)
الشيخ محمّد الهادي توري	فاس توري
الشيخ سعيد النّور تال	العاصمة دَكَار.
الحاج بـــاب لجونـــغو	ثُدور(podor)
الحاج داوود جـــه	Mbellekhe
الحاج علي تال	Bambey

وأمّا في الخارج:

الاسم	الموقع
الشيخ أحمد بوي كَي	Cote d'ivoire
الحاج ماجور جونغو	Kongo
الحاج نـــدر مـــبي	Gabon
الحاج بابكر جِنكَ	Centrafrique
الحاج عبد انجاي	Bamako (mali)

هؤلاء وغيرهم. وكانت رسالته الوحيدة لهؤلاء الرّسل هي: حَثُّهُمْ عَلَى بِنَاءِ المِسَاجِدِ يَجْتَمِعُ فِيهَا المسْلِمُونَ لِأَدَاءِ فَرَائِضِهِمْ، وَلِنَشْرِ العِلْمِ، وَلِلتَّعَارُفِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَذَلِكَ السَّعْيُ إِلَى امْتِلَاكِ أَرَاضٍ لِلزِّرَاعَةِ، لِكَسْبِ الحَلَالِ، وَالعَيْشِ بِهِ، وَتَكُونُ تِلْكَ الأَرَاضِي مُشْتَرَكَةً بَيْنَ

جَمِيعِ الإِخْوَةِ يَقْتَسِمُونَ جَمِيعَ المحْصُولَاتِ الزِّرَاعِيَّةِ، وَلَا يَسْتَبِدُّ بِهَا أَحَدٌ دُونَ غَيْرِهِ"[51] هذه هي رسالته الوحيدة لجميع إخوانه ومقدّميه.

فهذا نزر يسير فيما يتعلّق بمدرسته الشّيخ الحاج مالك. ونظرا لما مرّ من أمور تبدي لنا همّة الشّيخ رضي الله، نرى أنّه لا يعكّر صفوَ البحث تناول شيء من :

إنجازاته رضي الله تعالى عنه:

إنّه يمكن تقسيم إنجازات الشّيخ الحاج مالك إلى إنجازات معنويّة، وإنجازات مادّيّة، لكنّ كلّها في النّهاية ترجع إلى الدّين الإسلامي؛ لأنّ همّته الأساس كانت خدمة للدّين وترسيخ دعائمه، وتثبيت ركائزه رضي الله تعالى عنه. فمن الإنجازات المعنويّة:

- **نشر الدّين الإسلامي** إلى أوسع نطاق ممكن؛ بتعليم علومه وإرشاد أبنائه وتربية نشئه، وبناء جوامع ومساجد وزوايا له، ومن أشهرها:

ـ زاويته في (اندر) والتي في (تواون) ثمّ التي في (دكار)[52]

- **نشر التّصوّف السّنّي الصّحيح**: بتحقيق قولته المشهورة:

لَقَدْ رُفِعَتْ رَايَاتُ أُسْلُوبِ شَيْخِنَا فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ أَنْكَرَا

- إحياء ليلة المولد النّبويّ الشّريف كلّ سنة.

- **مؤلّفاته**، [53]ومنها:

1 ـ (نظم في علم التّوحيد). واسمه: هداية الولدان لما به الوصلة للجنان،

---

[51] انظر شخصيّة الشّيخ الحاج مالك، دراسة وصفيّة تحليليّة، لأئمّة الحضرة المالكيّة بمعهد محمّد السّادس لتكوين الأئمّة بالمغرب. صفحة (42).

[52] لقد أثبت الشّيخ محمّد تاتان في كتابه (مواهب الوهّاب المالك) صفحة 92 في المجموعة؛ أنّه سمع بعض الإخوان يقول: إنّه كان في دكار ـ بعد وفاة الشّيخ الحاج مالك ـ نحو أربعين زاوية؛ تقام فيها الصّلوات الخمس، وتقرأ فيها الوظائف غدوّا وعشيّا.

[53] وهي على الأقلّ تبلغ 83 مؤلّفا، بتصريح من البروفسور الدّكتور روحان مبي، حفظه الله.

2 ـ (كتاب جامع في الشّريعة الإسلاميّة) واسمه: كفاية الرّاغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين

3 ـ (منظومة في السيرة النّبويّة) واسمها: خِلاص الذّهب، في سيرة خير العرب

4 ـ (قصيدة بائيّة في الوعظ والإرشاد) واسمها: زجر القلوب.

5 ـ (نظم في علم الفرائض) واسمه: الكوكب المنير.

6 ـ (لامية في مدح الحبيب) واسمها: الدّرّ اليتيم والجوهر الجسيم.

7 ـ (دالية من بحر الطويل) واسمها: إحدى الحسنيين في علمي العروض والتّصوّف.

8 ـ منظومة في وجوب زكاة الفول السّوداني (الفستق).

9 ـ منظومة في ثبوت الصّوم بالتّلغراف وبالنّار، والبارود.

10 ـ وسيلة المنى في نظم أسماء الله الحسنى(التّيسير).

11 ـ (كتاب في الحقيقة والطّريقة) واسمه: إفحام المنكر الجاني.

12 ـ (نظم في التوجيه والإرشاد) واسمه: نعمة عافي الجاني في وصايا شيخنا التّجاني.

13 ـ (نظم في الطّريقة التّجانيّة) واسمه: فاكهة الطّلاب.

14 ـ (نظم في العلم وفضائله وكيفية تحصيله) واسمه: قنطرة المريد.

15 ـ منظومة في آداب المسجد.

16 ـ خطب للعيدين، وللجمُعة.

17 ـ ريّ الظّمآن في مولد سيّد بني عدنان.

18 ـ الرّسالة اللطيفة، في التوجيه والإرشاد.

19 ـ أمر النّبيّ، في الطّريقة التّجانيّة.

20 ـ رفاة الأمن، في التّوسّل إلى الله تعالى.

21 ـ يا كاشف الدّاء، في التّوسّل إلى الله تعالى.

22 ـ حروف صلاة الفاتح، في التّوسّل والدّعاء.

23 ـ منظومة الحزب السّيفي.

هذه بعض الإنجازات المعنويّة التي قام بها الشّيخ الحاج مالك رضي الله تعالى عنه.

وأمّا الإنجازات المادّيّة: فمنها:

• **إحياء أراض للزّراعة والحراثة:** وتربية المواشي والأغنام، لإتاحة فرص العمل وكسب الحلال لتلامذته، ومن بينها:

انجارند[54]: وكانت المساحة أربع كيلومترات مربّعة.

انغامبوجلّ[55]: وقد ورثه من أمّه. والقرية تبعد عن دغانا حوالي تسعة كيلومترات.

جكساو[56]: وهو بعيد نوعا ما عن (تواون) وقد ورثه ابنه الشّيخ عبد العزيز سه الدّبّاغ.

جامّكن[57]: وهو قريب من (تواون) وقد ورثه نجله الشّيخ الخليفة أبوبكر سه – رضي الله تعالى عنه ـ وهو حاليا ثلاثة بساتين، الأوّل: جَامَّكَنْ كَرْ آمَدُ، وَجَامَّكَنْ كَرْ الحَاجِ، وَجَامَّكَنْ كَاكُّنْ.

هذه بعض من إنجازات هذا الشّيخ الكريم، ويمكن الاكتفاء بها لقلّة الوقت ووجازة هذا البحث. وبعدها ننتقل إلى نقطة أخرى وهي:

وفاته وشيء ممّا قيل في حقّه من المراثي:

إنّ لله ما أعطى وله ما أخذ وكلّ شيء عنده بمقدار.

---

[54] Ndirndé

[55] Ngamou cillé

[56] Diéksaw

[57] Diammeu Gueune

هكذا، يلبّي الشّيخ نداء ربّه بعد أن أدّى مهمّته ودوره في هذه الحياة الفانية عن عمر يناهز 66.[58] وتوافق هذه الكارثة يوم الثّلثاء قبيل صلاة العصر الموافق 22 \06\1922م. وكان يوما أيوم على النّاس، وهو سبب القصيدة الدّاليّة التي سنتناولها في الفصل الثّاني إن شاء الله.

مراثيه:

لقد رثى الشّيخ الحاج مالكا كثير من علماء عصره لمكانته ولما كان يمثّله في هذا الدّين الإسلاميّ الذي كان رمزا وركنا قويّا من أركانه. وهذه القصيدة التي هي مدار هذا البحث واحدة من تلكم المراثي الرائعة التي أبدع فيها أصحابها بذكر مناقب هذا النّدب الكريم!

ومن الرّاثين أيضا ابنه العزيز وخليفته الشّيخ أبوبكر سه رضي الله تعالى عنه، والمرثيّة هي:

هَاجَ قَلْبِي مِنْ خَيَالٍ قَدْ سَرَى وَسَبَانِي قَدْ جَفَا طَيْفُ الكَرَى
شَفَّ شَبْحِي وَتَسَدَّى هَرْوَلًا سَيْلُ دَمْعِي فِي انْفِصَالٍ هَاجَرَا
وَيْ بُكَائِي لَا تَقُلْ مَهْ خِيفَةً بَلْهَ عَذْلِي إِنَّ شَأْنِي قَدْ يُرَى
فِي ضُلُوعِي لَوْعَةٌ نَارُ الجَوَى كَيْفَ أَثْوِي كُلَّ صَيْدٍ فِي الفَرَى
فَدَلِيلِي عَنْ خَيَالٍ فَخَيَا لٌ أَرَانِي بِبَهَاءٍ قَدْ بَرَى
قَدْ سَقَانِي مَا سَقَانِي فِي جَنَا نِي عَرَانِي مِنْ وِدَادٍ مَا عَرَى
نَغَّصَ البُعْدُ بِعَيْشِي مَا خَفَى إِنَّ عَيْشِي مِنْ كُدُورٍ فِي الثَّرَى
عَزَّ وَصْلِي لِمُغِيثٍ قَدْ سَمَى مِنْهُ وَجْهٌ مِنْ جِيَاعٍ قَدْ فَرَى
وَهْوَ فَرْدٌ وَذُرَى مَجْدٍ عَلَا كَانَ فِينَا وَزَرًا صَارَ الذُّرَى

---

[58] يقول الشّيخ عبد العزيز الدّبّاغ :

وَعُمْرُهُ صَوْ بِلَا بُهْتَانِ فِي شَهْرِ ذِي القَعْدَةِ يَا إِخْوَانِي

وهذا أيضا ما أثبته الشّيخ محمّد تابان في كتابه (مواهب الوهّاب) صفحة (107) من المجموعة، عند قوله: وعاش الشّيخ الحاج مالك رحمه الله تعالى ستّة وستّين عاما، اعتمادا على ما ذكره رضي الله تعالى عنه.

مَالِكٌ بَلْ دَارِكٌ مِنْ مَالِكِي سَالِكٌ بَلْ مَالِكِيٌّ مَنْ شَرَى
وَغِيَاثٌ وَصَفُوحٌ كُلَّ جَا فٍ فَسُوحٌ وَسَمُوحٌ بِالوَرَى
..... إلى آخرها.

ووليه أخوه وشيخ القوم الشيخ محمّد المنصور سِه رضي الله تعالى عنه راثيا بقوله:[59]

طَرِبَ الفُؤَادُ مُفَارِقَ الأَحْزَانِ مِنْ لَذَّةٍ تَرَكَتْهُ كَالنَّشْوَانِ
مَا لِلْجَنَانِ وَلَذَّةِ الصَّهْبَاءِ وَالْـ ـأَيَّامِ فِي العِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانِ
مَا لِلْجَنَانِ وَرَمْزِ لَامٍ قَدْ مَضَى فِي غَيْرِ طَاعَةِ خَالِقِ الجُثْمَانِ
قُلْ لِلْجَنَانِ مَتَى المَتَابُ وَقَدْ دَعَا دَاعِي المَنَايَا نُزْهَةَ الإِخْوَانِ
يَا قَلْبُ لَمَّا تَصْحُ مِنْ غَيِّ الصِّبَا وَلَّى الشَّبَابُ مُوَدِّعًا يَا جَانِي
فُتِنَ الجَنَانُ بِزُخْرُفَاتٍ أَهْلَكَتْ مِنْ قَبْلُ بَهْجَتُهَا ذَوِي الخُسْرَانِ
وَغَدَتْ تُخَوِّفُنِي الحُتُوفُ وَقَدْ دَعَتْ شَيْخًا بِبَهْجَتِهِ اعْتَلَى المَلَوَانِ
قَدْ لَامَنِي فِي الحُزْنِ أَهْلُ مَحَبَّتِي وَالقَلْبُ ذُو قَلَقٍ وَذُو خَفَقَانِ
تَجْرِي الدُّمُوعُ وَلَيْسَ جَرْيُ مَدَامِعِي يَشْفِي لِفَقْدِ خَلِيفَةِ الدَّيَّانِ
اللهُ أَكْبَرُ قَدْ غَرِقْتُ لِذَاكَ فَي بَحْرِ الدُّمُوعِ وَغَيْثِهَا الهَتَّانِ
اللهُ أَكْبَرُ وَالْبَقَاءُ بَقَاؤُهُ أَجْدَى لَنَا مِنْ سَائِرِ الأَكْوَانِ
اللهُ أَكْبَرُ جَلَّ أَمْرُكَ كُلُّ مَنْ فَوْقَ البَسِيطَةِ كَانَ غَيْرَكَ فَانِ
وَلَهُ التَّصَرُّفُ فِي العِبَادِ بِمَا يَشَا فِي مُلْكِهِ يَا أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
آلَيْتُ أَنَّ العَيْشَ بَعْدَ فِرَاقِهِ كَدَرٌ لِفَقْدِي بَهْجَةَ السُّودَانِ
وَبَقِيتُ بَعْدَ فِرَاقِهِ مُسْتَوْحِشًا خَنْسَاءُ دُونِي فِي البُكَا وَهَوَانِ
لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا مَحَلَّ إِقَامَةٍ لَأَقَامَ فِيهَا العَارِفُ الصَّمَدَانِ
وَأَقَامَ فِيهَا المُصْطَفَى مِنْ قَبْلِهِ وَصِحَابِهِ أَهْلِ التُّقَى وَالشَّانِ

[59] اليواقيت العرفانيّة من الفيوضات الرّبّانيّة (ديوان الشّيخ محمّد المنصور رضي الله تعالى عنه) صفحة 70.

لَكِنَّ عَادَتَهَا فِرَاقُ أَحِبَّةٍ بَعْدَ التَّأَنُّسِ وَاغْتِنَامِ حَنَانِ
إِنَّ الجَنَانَ مُخَلَّدٌ يَا لَائِمِي بَيْنَ الهُيَامِ وَلَفْحَةِ النِّيرَانِ
..... إلى آخرها

وتبعهما التجاني ابن بابا العلويّ الموريتاني، قائلا:[60]

بَدْرُ الكَمَالِ وَمِصْبَاحُ الدُّجَى أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا خَيْرَ قَوْمٍ بِالقَضَا أَفَلَا
وَاسْوَدَّ لَيْلُ الصَّفَا لَمَّا اخْتَفَى وَعَفَا مَا لِلْوَرَى مِنْ مَحَلٍّ فِي القُرَى وَخَلَا
نَعَى الإِمَامَ لَنَا النَّاعِي فَقُلْتُ لَهُ هَلَّا عَطَفْتَ عَلَيْهِ العِلْمَ وَالعَمَلَا
مَقَالُكَ المُرُّ لَا أَصْبَحْتَ ذَا فَرَحٍ مِنَ الهُمُومِ بِهِ أَلْبَسْتَنَا حُلَلَا
نَعَيْتَ خَيْرَ إِمَامٍ كَانَ يُرْشِدُنَا وَكَانَ يَمْنَعُنَا الإِضْلَالَ وَالزَّلَلَا
أَعْنِي الإِمَامَ الهُمَامَ الحَاجَ مَالِكَ مَنْ أَمْسَتْ مَآثِرُهُ بَيْنَ الوَرَى مُثُلَا
كَأَنَّهُ هَرِمٌ أَوْ حَاتِمٌ كَرَمًا وَلَا لِمَعْنًى تَرَى مَعْنًا إِذَا بَذَلَا
وَمَالِكٌ كَابْنِهِ نَحْوًا وَكَالعَتَقِي فِقْهًا وَتَحْسِبُهُ الدَّانِي دَنَا وَتَلَا
وَكَالبُخَارِي إِذَا رُمْتَ الحَدِيثَ بِهِ وَابْنِ الخَطِيبِ إِذَا مَا تَبْتَغِي الدُّوَلَا
وَكَانَ كَابْنِ زُهَيْرٍ فِي مَدَائِحِهِ فَمَدْحُ خَيْرِ الوَرَى مِنْهُ الصُّكُوكَ مَلَا
وَكَمْ لَهُ مِنْ قَصِيدٍ كَالفَرِيدِ بِهِ بَعْدَ الوَظِيفَةِ يَدْعُو كُلَّ مَنْ عَقَلَا
أَحْيَى مِنَ الدِّينِ مَا قَدْ كَانَ مُنْدَرِسًا وَلَمْ يَزَلْ بِعُلُومِ الشَّرْعِ مُشْتَغِلَا
وَبَثَّهَا فِي قُرَى الإِسْلَامِ مُحْتَسِبًا حَتَّى غَدَتْ عَلَمًا أَقْوَامُهَا الجُهَلَا
لَهُ تَآلِيفُ لَا تُحْصَى فَوَائِدُهَا وَلَا تَرَى خَلَلًا فِيهَا وَلَا مَلَلَا
وَبَثَّ عِلْمًا صَحِيحًا فِي الصُّدُورِ لِكَيْ يُنَالَ كُلُّ مَقَامٍ جَدَّ وَارْتَحَلَا
مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ قَاطِبَةً صَلَّى عَلَيْهِ مَعَ الآلِ الإِلَهُ عَلَا
مَا أَمَّهُ زَائِرٌ يَبْغِي العُلَا وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الفُضَلَا

[60] انظر {مواهب الوهّاب المالك} صفحة 14. تقدم.

إلى آخر المرثيّة.

ثمّ جاء الشّاعر الأديب محمّد بن عبد الله بن "قفا" العلوي قائلا عند زيارته ضريح الشيخ

خَلِيلِيَ عُجْ وَانْزِلْ بِسَاحَةِ ذَا القَبْرِ تَزُرْهُ لِإِصْلَاحِ المُهِمّ مِنَ الأَمْرِ
كَإِصْلَاحِ أُخْرَانَا وَإِصْلَاحِ أَرْضِنَا وَمَحْوِ خَطَايَانَا وَمَا كَانَ مِنْ وِزْرِ
فَفِي القَبْرِ مَا كُنَّا نُؤَمِّلُ فِي قَضَا حَوَائِجِنَا مِنْ حَيْثُ نَدْرِي وَلَا نَدْرِي
أَلَا أَيُّهَا القَبْرُ الذِي ضَمَّ جِسْمَهُ ضَمَمْتَ الذِي فَاقَ البَرِيَّةَ فِي الدَّهْرِ
ضَمَمْتَ جَمَالَ الدِّينِ بَدْرَ كَمَالِهِ وَشَمْسَ هُدَاةٍ فِي الظَّهِيرَةِ وَالعَصْرِ

إلى آخر القصيدة.....

وقال أيضا السّيّد القاضي محمّد بن عبد الرّحمان بن السّالك وهو واقف أمام الضريح[62]:

جَزَى اللهُ بِالإِحْسَانِ صَاحِبَ ذَا القَبْرِ وَأَعْطَاهُ أَوْفَى مَا يُؤَمِّلُ مِنْ أَجْرِ
فَكَانَ لَنَا مِنْ قَبْلُ رُكْنًا مُيَمِّمًا نَلُوذُ بِهِ مِمَّا نُحَاذِرُ مِنْ شَرِّ
وَأَبْقَى لَنَا ذِكْرًا لَدَى النَّاسِ عَالِيًا وَمُنْزِلَ عِزٍّ دُونَهُ أَنْجُمُ النَّسْرِ
وَقَدْ كَانَ بَرًّا بِالعُفَاةِ أَبًا لَهُمْ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ أَجْدَرَ بِالبِرِّ
بَكَتْهُ الوَرَى لَمَّا تَوَلَّى وَأَصْبَحَتْ قُلُوبُ الوَرَى مَسْلُوبَةً حُلَلَ الصَّبْرِ
فَلَمْ أَرَ شَمْسًا قَبْلَهُ ضِمْنَ حُفْرَةٍ وَلَا قَبْلَهُ بَيْتًا مَشِيدًا عَلَى بَحْرِ
بِبَابِكَ سُفْرٌ أَحْوَجَتْهُمْ هُمُومُهُمْ إِلَيْكَ وَكَمْ حَقَّقْتَ مِنْ حَاجَةِ السُّفْرِ
دَعَوْنَا بِكَ المَوْلَى لِحِفْظِ طَرِيقِنَا وَإِيمَانِنَا، وَالأَمْنِ فِي مَوْقِفِ الحَشْرِ
وَتُثْبَتُ فَوْقَ الجِسْرِ أَقْدَامُنَا فَلَا تَزِلَّ بِنَا الأَقْدَامُ عَنْ ذَلِكَ الجِسْرِ
وَلَا خَابَ فِي أَمْرٍ أَرَدْنَاهُ سَعْيَنَا وَلَا زَالَ عَنَّا العُسْرُ يُطْرَدُ بِاليُسْرِ

---

[61] مجهول الأمّة السنغالية، صفحة 11.

[62] المرجع السابق صفحة 12.

..... إلى النهاية.

هذه بعض مراث رُثي بها الشّيخ الحاج مالك، رحمه الله، وبها ننهي هذا المبحث الأوّل من مبحثي الفصل الأوّل، منتقلين إلى المبحث الثّاني الذي هو:

نبذة عن حياة صاحب الدّاليّة؛ الشّيخ علي غي رحمه الله.[63]

تعريفه:

لقد عرّفه الشّيخ إبراهيم جوب في كتابه[64] بأنّه "**مَنْ لَهُ الأَقْدَامُ فِي صُدُورِ المَحَافِلِ، الجَامِعُ لِأَشْتَاتِ الفَضَائِلِ، أَبُو البَرَكَاتِ عَلِيٌّ غَيْ**".

مولده:

ولد الشّيخ علي غي في الرّبع الأخير[65] من القرن التّاسع عشر، من أبوين كريمين في قرية (كُورِكْ لُكُّوكْ) في مقاطعة (تواون) على بعد عشرة أو تسعة كيلومترات عن (مدينة دقّار)، في محافظة (انْغَايْ مِخِ).

نسبه:

كان والد الشّيخ علي غي يدعى الشّيخ (**إِبْرَ فَاتِمْ بِنْدَ غَيْ**)، وأمّه كانت تسمّى السّيّدة (**أَنْتَ نُدومْبَ غَيْ**).

---

[63] لقد أفادني في جميع معلومات الشّيخ علي غي شفويّا الأخ الكريم الأستاذ عبد العزيز غي بن الشّيخ طاهر غي بن الشّيخ مور أست غي أخ الشّيخ علي غي.

[64] تحفة الإخوان، صفحة 56 في المجموعة.

[65] رأينا نسخة أخرى تثبت بأن الشّيخ علي غي ولد سنة 1308هـ ـ 1890م. وهذا التّاريخ مختلف فيه لأمور منها أنّه قيل إنّه كان مزامنا الشّيخ الخليفة أبابكر سه أو أكبر منه بقليل، والشّيخ الخليفة كما ثبت بأنّه ولد سنة 1885م أو 1883م. وعلى كلّ فالشّيخ علي لم تخرج ولادته عن الرّبع الأخير من القرن التّاسع عشر، ولهذا توقّفنا واكتفينا بذلك، والله تعالى أدرى وأعلم.

وكان والده عالما كبيرا في زمانه، يدرّس في مجلسه العلمي فنونا كثيرة. وأمّه أيضا كانت من بيت علم وولاية.

تعلّمه: بدأ تعلّمه على يدي والده الشّيخ (إبر فاتم بند غي) فتعلّم عنده قدرا كبيرا من العلم. ثمّ بعد وفاة والده تولّى أمرَ الأسرة أخوه للأب وكبير الأسرة الشّيخ (براكَيْ غَيْ) فواصل صغيره عَلِيٌ غَيْ دراسته لديه إلى أن قرّر الشّيخ (بِراكي غَيْ[66]) بعثه إلى الشّيخ الحاج مالك لمواصلة دراسته العلمي [67] ولممارسته تكوينه الرّوحي.

وكان الشّيخ علي غي ذا همّة عالية في تحيل العلم، مكرّسا حياته كلّها في خدمة الشّيخ الحاج مالك، حتّى وثق به، وجعله من كتبته يحرّر له الرّسائل وينسخ الكتب، بعد أن عهد إليه فرعا من محضرته العلميّة يدرّس فيها.

وحكى الشّيخ إبراهيم جوب رحمه الله في كتابه[68] أنّه لمّا رجع ديوان الشّيخ الحاج مالك من طبعه[69] ولاحظ فيه أخطاء أمر الشّيخ عليّا غي بنقله وتصحيحه. وهذا إن كانت له أيّة دلالة فإنّما هي الميزة العلميّة التي كان يتقلّدها النّاسخ رحمه الله.

هذا، وقد تخرّج على يديه كثيرون، منهم بعض أبناء الشّيخ الخليفة كالشّيخ محمّد المنصور سه، والشّيخ أحمد التّجاني سه المكتوم، والشّيخ عبد العزيز سه الأمين، وغيرهم من المشهورين بالعلم في الحضرة التّواونيّة المالكيّة. وكانوا يجلّونه ويقدّرونه ويستأنسون باسمه في أحاديثهم في المناسبات، لوفور علمه وسعة اطّلاعه. فقد قال عنه الشّيخ إبراهيم جوب، بأنّه "كان عالما عاملا، يوقّر الكبير ويرحم الصّغير، آية من آيات الله[70]"

---

[66] Bira Gaye Gueuye

[67] لقد أثبت الشّيخ إبراهيم جوب أنه قرأ في ابتداء أمره عند الشّيخ مكّت سه.

[68] تحفة الإخوان، صفحة 65 في المجموعة.

[69] أي: طبعته الأولى في تونس عام 1333 هجري، 1944 ميلادي.

[70] انظر تحفة الإخوان، صفحة 65 من المجموعة.

إنجازاته:

اشتهر الشّيخ علي غي ـ رحمه الله ـ بإنجازات علميّة كثيرة، منها: هذه المرثيّة الدّالية التي سوف نتناولها، والتي سمّاها:

ـ إظهار النّيّة، في تاريخ أفول شمسه السّنيّة.

ـ جدول أهل الفروض، وهي عبارة عن ورقة واحدة كبيرة في الميراث، جمع فيها أصحاب الفروض وسهامهم في جميع حالات الميراث.

ـ قصيدة نونيّة كامليّة، يرثي بها الشيّخ الحاج مالك، وحليلته السّيّدة صفيّة انيانغ معا، مع التأريخ لوفاتهما. ولقد سمعت منها أبياتا يقول فيها:

دَوْمُ السَّعَادَةِ غَيْرُ ذِي إِمْكَانِ ... فِي تِي الدُّنَا مَا هِي بِدَارِ أَمَانِ
بَلْ دَارِ حُزْنٍ وَاغْتِرَارٍ وَالبِلَا ... دَارِ افْتِرَاقٍ مَفْقَدِ الخِلَّانِ
دَارِ الفَنَا دَارِ العَنَا مُرِّ الجَنَى ... صَدَقَ الذِي قَدْ قَالَ مُنْذُ زَمَانِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ... صَفْوًا مِنَ الأَكْدَارِ ذَا ضِدَّانِ
....
شَيْخِي مُرَبِّي سَاعِدِي بَلْ عُدَّتِي ... فِي تِي وَتَالِكَ نَجْلَ مَامْ عُثْمَانِ
كَنْزِي رَجَائِي مُنْيَتِي وَبَصِيرَتِي ... لَوْلَاهُ تُهْتُ مَهَامِهَ الخُسْرَانِ
....
لَا يُنْسِيَنِّي فَقْدَهُ طُولُ اللَّيَا ... لِي كَيْفَ يَنْسَى رُوحَهُ جُسْمَانِي
لَمَّا تَرَحَّلَ عَامَ شَمْسٍ[71] مُتْبَعًا ... فِي طَمْشَسٍ[72] أُمَّا صَفِيَّةَ[73] شَانِ
قَدْ عَادَتِ الأَحْزَانُ كُلٌّ قَدْ بَكَى ... خُلْوُ المَنَازِلِ عَنْهُمَا أَبْكَانِي

---

[71] أي 1340 هجري.

[72] أي 1349 هجري، بزيادة الطاء التي في حساب الجمّل تساوي (9)

[73] أي: السّيّدة صفيّة انيانغ رحمها الله.

ذَا[74] يَـوْمُهُ الثُّـلَـثَـا وَهَـذِهِ[75] لَـيْلُهَا لِأَرْبِـعَـا تِـسْـعِ الـرَّبِـيـعِ الـثَّـانِي

ـ أبيات قالها بمناسبة وفاة الشّيخ مالك صالّ، ومع الوفد المعزّي برآسة الشّيخ الخليفة أبي بكر سه، رضي الله تعالى عنه، قائلا:

أَلَا يَـوْمُـهُ يَـوْمُ الـعَـرُوبَةِ شَهْـرُهُ صِـيَـامُـكَ فَـرْضًـا إِذْ يَـهِـي مِنْهُ أَوْكَـدُ
وَيَـوْمَ تَـرَى شَـوْقًـا أَتَـى الـمَـوْتُ ظُهْرَهُ مِنَ الـهِـجْـرَةِ الـغَـرَّاءِ وَالـمَـوْتُ مَوْرِدُ
كَـفَاهُ فَـخَـارًا كَـانَ صِهْـرًا لِـشَـيْـخِـنَـا وَجَـدًّا لِـقَـرْمٍ مُـصْـطَـفًى وَهْـوَ سَـيِّـدُ

هذه بعض مؤلّفات الشّيخ علي غي، مع كامل الاستياء من عدم العثور على كمّية كبيرة منها! لأنّ آثاره مازالت إلى الآن خافية، لا يرى أو يسمع منها إلّا نادر، ونرجو أن يكون هذا البحث الموجز منطلقا لظهورها لينتفع بها النّاس.

وفاته:

توفّي الشّيخ علي غي رحمه الله في مستشفى (لَدَنْتِكْ)[76] في اليوم الثّامن من شهر غشطش عام ألف وتسعمئة وثمانية وخمسين [77]. وكانت وفاته جرحا داميا في تواون لأنّه رحمه الله كان أستاذا كاسمه في العلم، عالي المستوى ضخم المحتوى، وهو الآن إلى جوار ربّه رحمه الله تعالى عنه.

هذه سطور في حياة المرحوم الشّيخ علي غي، الذي ينبغي تخصيص دراسة وافية على حياته المباركة المكرّسة لخدمة العلم وأهله ولاسيّما شيخه الشّيخ الحاج مالك سه رضي الله تعالى عنه، فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

---

[74] أي: الشّيخ الحاج مالك سه، رضي الله تعالى عنه.

[75] أي: السّيّدة صفيّة انيانغ رحمها الله.

[76] Hôpital le dantec

[77] 08\08\1958م

• الفصل الثّاني: دراسة القصيدة وتحليلها.

ـ المبحث الأوّل: نبذة يسيرة عن القصيدة:

ـ عرض القصيدة بكاملها:

{إظهار النّية، في تاريخ أفول شمسه السّنيّة}

وَدَعْ عَنْكَ أَطْلَالًا بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ لِخَوْلَةَ مَعْ تَوْصَافِهَا بِكَإِثْمِدِ[78]
وَمَا قَوْلُ لَيْلَى وَالرَّبَابِ وَفَرْتَنَى وَمَا قَوْلُ هِنْدٍ بَلْهَ سَلْمَى وَمَهْدَدِ[79]
وَدَعْ ذِكْرَ أَيَّامِ الصِّبَا وَلَيَالِهَا وَدَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ المَغَانِي لِخُرَّدِ[80]
وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ سَيِّدِي لَدَى رَوْضِهِ وَالخَطْبُ أَشْغَلَ عَنْ دَدِ[81]
وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ جِهْبِذٍ حَبِيبٍ خَلِيلِ الكُلِّ بَرٍّ وَمُرْشِدِ[82]
وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ مُهْتَدٍ كَنَجْمِ الدُّجَى بَلْ بَدْرِهَا المُتَوَقِّدِ[83]

---

[78] {ودع} دعْ، أمر من ودع يدع ودعا، فهو وادع وموادع: الشّيءَ أي تركه، وأهمله. وقلّما تستعمل صيغ الماضي والمصدر والوصف منه. فقوله: دع عنك أطلالا، أي: اتركها. و{أطلال} جمع طلل، ويجمع على طلول، وهو ما بقي من آثار المنزل بعد رحيل أصحابه. والبكاء على الأطلال شائع في الشعر القديم، يقول امرؤ القيس: " **ألا عم صباحا أيّها الطّلل البالي**". ب{برقة} والبرقة: الأرض الغليظة التي اختلطت فيها الحجارة والرّمال، وجمعها: بَرْقٌ و براق. {ثهمد} موضع، برقة ثهمد موضع معروف في بلاد العرب، قال طرفة: "**لخولة أطلال ببرقة ثهمد**" {خولة} علم أنثى. {توصاف} تفعال من الوصف، للمبالغة والتكرار. {إثمد}: حجر الكحل.

[79] {ليلى، رباب، فرتنى، هند، سلمى، مهدد}: كلّها أعلام للمرأة.

[80] {أيّام الصّبا} بالكسر: أيّام الصّغر. {تذكار} تفعال من الذّكر، للمبالغة فيه. {المغاني}: جمع مغنًى، وهي المواضع التي كان بها أهلوها. {خرّد} وخُرُدٌ، وخرائد، كلّها جموع ل(خَرِيدة)، وهي فتاة عذراء لم تمسّ قطّ، وقيل هي: لؤلؤة لم تُثْقبْ.

[81] {ضجعة} بالكسر، بمعنى النّوم، فهي من الاضطجاع، كالجلسة من الجلوس. {الخطب}: الأمر العظيم، أو اليسير يكثر فيه الجدال. وفي القرآن الكريم: "قال فما خطبكم أيّها المرسلون. {أشغل} ـه، يشغله إشغالا: عن الأمر، أي: شغله وألهاه عنه. {دد} والدد: اللهو واللعب، وفي الحديث: "**ما أنا من ددٍ ولا الدَّدُ منّي**"

[82] {جهبذ} بالكسر أو بالفتح: الخبير بغوامض الأمور، أو الناقد العارف بتمييز الجيّد من الرّديء، جمعه: جهابذة.

[83] {الدّجى}: سواد الليل وظلمته. {المتوقّد} من توقّد، يتوقّد، توقّدا: أي: أشرق وتلألأ.

وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ مُقْتَفًى بِهِ سُنَّةُ الهَادِي النَّبِيّ مُحَمَّدِ[84]
وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ وَالِدٍ رَؤُوفٍ رَحِيمٍ كَاشِفِ الغَمّ مُنْجِدِ[85]
وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ وَارِثٍ أَبَا الفَيْضِ قُطْبَ الأَوْلِيَا ابْنَ مَحَمَّدِ
وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ مُسْلَكٍ طَرِيقَ كِرَامِ القَوْمِ صَافٍ مُزَهَّدِ
وَلَكِنْ تَفَكَّر كَيْفَ ضِجْعَةُ وَاصِلٍ إِلَى رَبِّهِ نَدْبٍ إِمَامٍ مُسَدِّدِ[86]
وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ نَاسِكٍ تَقِيّ نَقِيّ غَازِرِ الجُودِ مُزْبِدِ[87]
وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ مَنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ المَوْلَى الوَفِي المُتَغَمِّدِ[88]
لَقَدْ نَامَ ذُو عِرْضٍ كَرِيمٍ مُهَذَّبٍ أَبِيّ عَنِ الأَدْنَاسِ طَهَّارُ مَحْتِدِ[89]
دَمٌ خَالِصٌ لَا يَقْدِرُ الحَمْلَ ذَرَّةً مِنَ الضَّيْمِ عَوْنٌ لِلْأَحِبَّا وَحُسَّدِ[90]
وَلَوْ أَنَّهُ شَخْصٌ يَنَامُ بِرُوحِهِ وَلَكِنْ بِأَرْوَاحِ القُلُوبِ مِنَ اعْبُدِ

---

[84] صلّى الله عليه وسلّم.

[85] {رؤوف} فعول من الرأفة، للمبالغة فيها، وهي أخصّ من الرّحمة وأرقّ منها. {كاشف}: كاشف الغمّ، أي: مزيله، فهو اسم فاعل من كشف يكشِف كَشفا: اللهُ همَّه أو غمَّه، أي: أزاله. {منجد}، أي: مُعين ومُغيث، أنجد يُنجِد إنجادا\فلانا: أغاثه وأعانه ونصره.

[86] {ندب} والندب: السريع إلى الفضائل، الظّريف.

[87] {ناسك} أي: عابد، زاهد. نسَك ينسُك نُسْكا ونَسْكا ونِسْكا ونُسْكَة ومنسَكا\ الرّجل تزهّد وتعبّد. {غازر} فاعل من غزر الماء يغزُر غزارة، وغُزْرا، أي: كثر، وغازر الجود، أي: كثيره. {مزبِد} اسم فاعل من أزبد البحرُ إزبادا، إذا ماج وقذف بالزَّبَدِ.

[88] {المتغمّد} من تغمّد يتغمّد تغمّدا، يقال: تغمّد الله الفقيد برحمته، أي: ستره بها.

[89] {أبيّ}، الأبيّ، هو: من لا يرضى بالذّلّ، ورجل أبيّ النّفس، هو: المترفّع عن كلّ يشين. {محتد} المحتِد والمحفِد والمحقِد والمحكِد، كلها بمعنى الأصل، يقال: إنّ فلانا كريم المحتد، وجمعه: محاتد.

[90] {ذرّة} هي القدر الضئيل جدّا، بالغ في الصّغر، قال تعالى: "**فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره**" {الضيم}: الّظلم، ضامه في حقّه يَضيمه ضيما: انتقصه واستحطّه. {حُسّد} وحُسّاد، وحسدة، وحاسدون: جمع حاسد، وحسده، أي: كره نعمةَ الله عليه، وتمنّى أن تزول عنه.

فَيَا عَجَبًا مِنْ أَحْسَنِ الدُّرِّ حُزْتَهُ ضَرِيحَ أَبِ الـمَنْصُورِ مِغْيَاثِ مُكْمَدِ[91]
تُغَيِّبُهُ عَنَّا وَفِينَا تَفَجُّعٌ تَرَى صَدَفًا فِيهِ يَتِيمُ زَبَرْجَدِ[92]
وَمِنْ عَجَبٍ تَغْسِيلُهُ الكُلَّ قُلَّةٌ وَفِي صَدْرِهِ مِلْبَحْرِ أَعْظَمِ مُزْبِدِ[93]
وَمِنْ عَجَبٍ حَمْلُ الأَخِلَّا بِنَعْشِهِ وَمَحْمُولُهُ صَبْرًا وِزَانٌ بِجَلْمَدِ[94]
وَمِنْ عَجَبٍ يَحْوِيهِ قَبْرٌ وَصَدْرُهُ بِتَوْسِيعِ أَرْضٍ وَالسَّمَاءِ الـمُصَمَّدِ[95]
وَمِنْ عَجَبٍ تَمْيِيزُكَ الحِبَّ عِنْدَهُ بَغِيضًا بِمَا يَحْوِيهِ مِنْ حُسْنِ سُؤْدَدِ[96]
جُمُودُكِ يَا عَيْنِي العَمَى مِنْهُ أَفْضَلُ فَجُودِي ابْذُلِي دَمْعًا دَمًا وَتَجَرَّدِي[97]
لِفَقْدِ عِمَادِ الدِّينِ شَمْسِ فُرُوضِهِ وَمِصْبَاحِ مَنْدُوبَاتِهِ وَالـمُجَدِّدِ[98]

---

[91] {الدُّرُّ} والدُّرّات والدُّرر، جموع لدُرّة، أي: لؤلؤة عظيم وتطلق أيضا على شيء ثمين أو نفيس. {حزته} حاز يحُوز حُزْ، حَوزا، و حيَازة، أي: ضمَّ. {ضريح} أي: قبر، وجمعه: أضرحة وضرائح، ويطلق عادة على مقابر الخاصّة. {مغياث} على وزن مِفعال، فهو من الأفعال التي يستوي فيها المذكّر والمؤنّث. والمغياث: مفعال من الإغاثة، وهو الكثير الإغاثة. {مُكْمَد} : اسم مفعول من أكمده الهمُّ يُكمِده إكمادا، إذا غمّه وأمرض قلبه.

[92] {تفجّع} أي: تألُّم، مصدر تفجَّع يتفجّع، فهو متفجّع، ومتفجَّع له. {صدفا} والصّدف: غشاء الدّرّ. {يتيم} اليتيم من كلّ شيء: المفرد، وهو كلّ شيء يَعزُّ نظيره. {زبرجد} أي: حجر كريم يشبه الزُّمُرُّدَ، وهو معدن زجاجيّ شفّاف له ألوان كثيرة.

[93] {قُلّة} : جمعها قِلال وقُلُلٌ، وقُلّات: وهي: إناء من الفخّار يُشرب منه. وفي الحديث "**إذا بلغ الماء قلّتين لم يحمل الخبث**" {ملبحر} أي: ملئ البحر. {مزبد} سبق شرحه.

[94] {النعش}، هو: سرير الميّت. {جلمد} و جُلمود: الصّخرة، وقيل : رجل شديد صعب.

[95] {المصمّد} المُعَلّى، والصّمَد، بالفتح: الرّفيع من كلّ شيء. والصّمْد بالسكون: المكان الغليظ المرتفع من الأرض، لا يبلغ أن يكون جبلا. وقيل: المصمّد، هو: المقصود.

[96] {البغيض} : المبغوض المقيت المكروه. {السّؤدد} مصدر ساد يسود، بمعنى العظم والمجد والسّيادة، إلى غير ذلك.

[97] {جمودك} والجمود، مصدر جمدتِ العين، تجمُد جَمدا: عن البكاء: إذا لم تقدر عليه. {جودي}: أمر من جادت تجود بالمال، أي: بذلته وسخت به، والتاء علامة التأنيث. {ابذلي} أمر من بذلتِ المالَ تبذله بذلا: أي: قدّمته، وأعطت كلّما في طاقتها وقدرتها. {تجرّدي} أيْ: تخلَّيْ منهما.

[98] {عماد الدّين} أي: أساسه.

بَكَتْهُ السَّمَا وَالأَرْضُ حُقَّ بُكَاهُمَا عَلَى مِثْلِهِ إِنْ يُلْفَ مِثْلٌ وَيُوجَدِ[99]
بَكَى كُلُّ جِنْسٍ فَقْدَهُ وَيَزُورُهُ قَبَائِلُ شَتَّى وُفَّدًا بَعْدَ وُفَّدِ[100]
وَلِيٌّ مَنَارُ الدِّينِ أَعْلَاهُ رِفْعَةً إِنَارَاتُهُ عَمَّتْ عُمُومَ مُحَمَّدِ[101]
عَلَيْهِ سَلَامُ اللهِ يُرْضِيهِ دَائِمًا وَآلٍ لَهُ وَالصَّحْبِ مَعْ كُلِّ مُقْتَدِ
عَدُولٌ عَنِ الإِرْخَاصِ لَمْ يُلْفَ رَاكِبًا جَوَازًا وَلَا التَّأْوِيلَ لَا بَلْ بِأَوْكَدِ[102]
وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ مَا احْتَاطَ إِذْ دَجَا ظَلَامُ شُكُوكٍ فِي أُمُورِ التَّعَبُّدِ[103]
عَلِيٌّ جَمِيلُ الذِّكْرِ حَازَ مَنَاقِبًا حَوَتْ نَيْلَ إِعْجَازٍ بِتَعْدَادِ عُدَّدِ[104]
وَلِيٌّ رَفِيعُ الصِّيتِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَكَمْ لِغَرِيبٍ مِنْهُ خَيْرُ تَزَوُّدِ[105]

---

[99] {يلف} من ألفاه يُلفيه، إذا وجده وصادفه. قال تعالى: "**وألفيا سيّدها لدى الباب**".

[100] {وُفَّد} جمع وافد، وهو: فاعل من وفَد إلى المكان أو عليه، إذا قدم إليه. ويجمع أيضا على أوفاد ووفد و وُفّاد ووُفود و{وافدون}.

[101] {منار} والمنار: مصدر النّور، أو علم يُجعل للاهتداء به في الطّريق، أو شخص بارز في في اختصاصه. يقال فلان مَنار أمام تلاميذه، أي: يرشدهم وينوّر أمامَهم ما أظلم عليهم في عملهم. {إناراته}: جمع إنارة، وهو مصدر أنار المكانَ يُنيرُه: إذا أضاءه.

[102] عدول مبالغة من عدل يعدِل عن الطريق، أي: حاد عنها، ومال. {الإرخاص}: مصدر أرخص يُرخص، أي: سهّله ويسّره، وأرخص السّعرَ: خفّضه. وأمّا الرّخصة، فجمعها رخُصات، ورُخْصات، ورُخَص.

[103] {احتاط} يحتاط فلان لنفسه، أو للشيء: حاذر واحترز تفاديا لما يتوقّع، أو أخذ بالثّقة، يقال: على المرء أن يحتاط للصّعوبات. {دجا} يدجُو دَجْواً ودُجوّاً، فهو داجٍ ودَجِيٌّ: الليلُ: أظلَمَ. و{الدُّجى} سواد الليل مع غَيم حتّى لايُرى نجم ولا قمر.

[104] عليّ، أي: الشيخ الحاج مالك رضي الله تعالى عنه. {حاز} أي: حصل على. {مناقبا} جمع مَنْقبة، وهي الفعل الكريم. أو المفخرة. والمناقب: ما عُرِف به الإنسان من الخصال الحميدة والأخلاق الجميلة. {حَوَت} التاء علامة التأنيث، وحوى يحوي احوِ حَوايَة، بمعنى ضَمّ وملَكَ. {تعداد} تفعال من عدّه يعُدّه إذا سرده بالتّرتيب. والتّعداد: الإحصاء. {عُدّد} جمع عادّ، وهو فاعل من عدّ يعدّ عدّا.

[105] {الصيت} السّمعة، أو ذكر حَسن ينتشر في النّاس، يقال: فلان حسن الصّيت أو سيّئه. {تزوّد} مصدر تزوّد يتزوّد، أي: حمل الزّاد والمؤن.

أَبَى جَاهُهُ عَنْ كُلِّ لَاجٍ بِظَهْرِهِ اغْـ ـتِرَابًا وَضَيْمًا مِنْ قَرِيبٍ وَأَبْعَدِ[106]
صَفِيٌّ نَصُوحٌ فَاقَ عِلْمًا وَسُؤْدَدًا وَمَا عَابَهُ غَيْرُ اللَّئِيمِ الْمُعَرْبِدِ[107]
وَلِيٌّ شَهِيرٌ كَامِلٌ مُتَكَامِنٌ وَمَرْمَاهُ مَرْمَى سَيِّدِ الْقَوْمِ أَحْمَدِ
جَزِيلٌ جُزَيْلٌ ذُو مَقَامٍ مُرَفَّعٍ فَرِيدٌ طَوِيلُ الْبَاعِ وَالرِّجْلِ وَالْيَدِ[108]
سُلَيْمَانُ أَمْرٍ مُوسَوِيٌّ بِنَجْدَةٍ خَلِيلِيُّ دِينٍ سُنِّيٌّ لِمُحَمَّدِ[109]
فَلَمْ يُرَ يَهْتَمُّ الْكَرَامَاتِ قَائِلًا وَمَا هِيَ إِلَّا سُكَّرٌ فَاحْذُ تُرْشَدِ[110]
وَفِي مَرَّةٍ أُخْرَى لِمَنْ رَامَ نَيْلَهَا أَلَا هِيَ حَيْضٌ لِلرِّجَالِ بِهَا اصْدُدِ[111]

---

[106] {أبى} يأبى إباء وإباءةً: استعصى، رفض. {جاهه} والجاه: المكانة والعلوّ. {لَاجٍ} فاعل من فعل لَجَأَ يلجَأ لَجْئًا ولُجوءًا، والأصل لاجئ، ومفعوله ملجُوءٌ إليْه. {اغتراب} مصدر اغترب يغترب اغترب: الشّخص، أي: بعد، أو أحسّ بالغُربة. {ضيم} شرحناه.

[107] {صفيّ} أي: موصوف بالصّفاء، وهو الوضوح والجلاء، والوضوح من كلّ الشّوائب، وجمعه أصفياء وصفايا، ومؤنّثه: صفيّة. {نصوح} والنّصوح مبالغة من نصح، ويقال: توبة نصوح: صادقة خالصة. {فاق} يفوق، فُقْ، فَواقًا، فهو فائق والمفعول مفوق: أصحابَه، أي: علاهم، وفَضَلَهم، وغلبهم، علما أو ذكاء أو أو..... {عاب} أي: عدّه ذا نقيصة، وقدحه، وذمّه. {اللئيم} جمعه لئام،

ولُؤماء، وهو صفة مشبّهة تدلّ على الثّبوت، من لَؤُمَ بمعنى دنُؤَ، وشحّتْ نفسُه. {المعربد} اسم فاعل من عربد يعربد عَرْبَدة: السّكران: ساء خلقه، وآذى النّاس في سكره.

[108] {جزيل} صفة مشبّهة تدل على الثّبوت من جَزُلَ. {جُزَيْل} ربّما تصغير لجَزيل، أو {جُذَيْل} بالذال، كقولهم: فلان جذيل فنٍّ كذا المحكّك، أي: بارع فيه، يُلجأ إليه فيه.

[109] {سليمان أمر} أي: سليمانيّ في الأمر والقيادة. {موسويّ بنجدة} في النّجدة (الإغاثة) والبسالة. {خليليّ دين} أي: خليليّ في التّديّن والاستقامة. {سنّي لمحمّد} أي: محمّديّ في التمسّك بالسّنّة المحمّديّة الغرّاء. إنّه الشيخ الحاج مالك سه رضي الله تعالى عنه.

[110] {فاحذ} أمر من حذا يحذو حَذوا\ حَذوَ فلان: إذا سار على خطاه وامتثل به.

[111] {ألا هي حيض} إشارة إلى قول الشيخ الحاج مالك سه في شأن الكرامات، حيث قال:

إِنَّ الْكَرَامَاتِ حَيْضٌ لِلرِّجَالِ فَلَا تُضِفْ إِلَى النَّفْسِ إِنَّ الوَصْفَ للهِ

{اصدُد} أمر من صدّ يصُدّ صُدَّ أو اصدُد\ عن جاره، أي: أعرض عنه ومال.

مَنُوعٌ عَنِ التَّفْرَاحِ بِالكَشْفِ قَائِلًا فَمُشْتَرَكُ الكُفَّارِ وَالمُتَعَبِّدِ[112]
يَرَى غَيْرَ إِفْرَادِ الإِلَهِ لِمَقْصِدٍ حِجَابًا كَكُمَّالِ الفُحُولِ وَزُهَّدِ[113]
إِذَا اجْتَمَعَ الأَشْيَاخُ فَهْوَ خَطِيبُهُمْ بِوَعْظٍ بَلِيغٍ مِنْ فَصَاحَةِ مِذْوَدِ[114]
أَلَا إِنَّهُ شَيْخُ المَشَايِخِ كُلِّهِمْ فَكَمْ عَيْلَمٍ مِنْهُ احْتَوَى مِنْ تَمَدُّدِ[115]
إِذَا نَحْنُ جِئْنَا نَحْوَهُ مِنْ تَعَلُّمٍ وَجَدْنَاهُ سَهْلًا لَيِّنًا لَمْ يُشَدِّدِ
مَتَى جَاءَ قَوْمٌ عَضَّهُمْ قَحْطُ مَحْلِهِمْ أَتَاهُمْ بِغَيْثٍ هَاطِلِ الجُودِ مُرْغِدِ[116]
عَلَى نَفْسِهِ كَمْ أَكْثَرَ الضُّرَّ وَالأَذَى لِنَفْعِ البَرَايَا وَالإِلَهُ بِمَرْصَدِ
هَدَى أَنْفُسًا ضَلَّتْ عَنِ الرُّشْدِ فَاهْتَدَتْ فَصَامَتْ وَقَامَتْ لَيْلَهَا بِتَهَجُّدِ[117]
أَتَى وَبِقَاعُ السُّودِ ظُلْمٌ وَظُلْمَةٌ فَقَامَ بِسَيْفِ الهَمِّ بِالحَزْمِ مُجْرَدِ[118]

---

[112] {منوع}: مبالغة في المنع، أي: شديد المنع. قال تعالى: "وإذا مسّه الخير منوعا". {تفراح} على وزن تفعال، للدلالة على كثرة الفرح وتكرّره. {الكشف}: بيان توضيحي. وعند الصّوفيّة، هو: الاطّلاع على ما وراء الحجاب من المعاني العليّة، والأمور الخفيّة، وجودا أو شهودا. والكشف الإلهي هو: انكشاف الحقائق الإلهيّة للصّوفي.

[113] {الفحول} والأَفحُل، والفِحال، جموع لفَحل، وهو: القويّ جنسيّا مكتمل الرّجولة. يقال: فحول الشعر، وفحول العلم، وهم المتفضّلون عموما. {زهّد}: جمع زاهد، ويجمع أيضا على زُهّاد وزاهدون، وهو اسم فاعل من زهد عن، أو في شيء، أي: رغب عنه. والزّاهد هو: الرّاغب عن الدّنيا، المنصرف إلى الآخرة. أو من إن أصاب الدّنيا لم يفرح، وإن أصابته الدّنيا لم يحزَن.

[114] {الأشياخ} جمع شيخ، وهو صفة مشبّهة تدل على الثّبوت، من فعل شاخ. والشيخ لقب يطلق على رجل الدّين الإسلامي، كشيخ الأزهر، وشيخ الإسلام. {فصاحة} مصدر فصُح الخطيب يفصُح\ إذا انطلق لسانه بكلام صحيح واضح. والفصيح، هو: البيّن في اللسان والبلاغة. {مِذود} هو: المدافع عن عرضه وأهله وكأنّه أصبح آلة للذّود.

[115] {عَيلم} والعيلم: البحر، أو البئر الواسعة.

[116] {عضّهم} أي: اشتدّ وقسا عليهم. {قحط} مصدر قحط يقحَط. والقحط هو المجاعة. {محلهم} والمحل: نقيض الخِصب، وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلإ. {بغيث} والغيث: المطر الغزير الذي يجلب الخير. قال تعالى: "**وهو الذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته**" {هاطل} فاعل من هطل يهطِل هطْلا وهطلانا وهُطولا: المطر إذا نزل متتابعا متفرّقا عظيم القطر. {مُرغد} اسم فاعل من أرغد يُرغد الشّخص، إذا صار في رغد من العيش.

[117] {بتهجّد} والتّهجّد، هو الصّلاة ليلا، قال تعالى: "**ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربّك مقاما محمود**"

[118] {بقاع}، وبُقْعات، وبُقُعات، كلّها جموع ل{بُقعة} وهي: قطعة من الأرض متميّزة عمّا حولها. {ظلم} أي: جَور، وانتهاك حقّ الآخر عُدوانا. و{ظلمة} \أي: اشتداد سواد الليل. {مُجرَد} أي: مُستلّ (مُخرَج) من غمده.

فَجَاهَدَ فِيهَا بِالسِّيَاسَةِ وَالنَّدَى وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ فَاهْتَدَى كُلُّ مُعْتَدِي[119]
فَصَارَتْ زَوَايَا فِي قُرَاهَا جَمِيعِهَا مِلَاءً بِفَوْجٍ رَاكِعِينَ وَسُجَّدِ[120]
لِأَصْوَاتِهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَوِيٌّ لَدَى كُلِّ الزَّوَايَا وَمَسْجِدِ[121]
جَزَاهُ عَنِ الإِخْوَانِ رَبِّيَ خَيْرَ مَا جَزَى كُلَّ شَيْخٍ بِاحْتِرَامٍ مُؤَبَّدِ[122]
فَلِلَّهِ بَدْرٌ طَالِعٌ نَحْوَ غَرْبِنَا وَأَشْرَقَ لَيْلَ الجَهْلِ شَرْقِيَ مَقْصِدِ
وَأَحْرَمَ بِالمِيقَاتِ نَاوِيَ حَجَّةٍ وَلَبَّى لِمَوْلَى أَفْرَضِ الحَجِّ أَوْحَدِ[123]
وَجَاءَ وَطَافَ البَيْتَ مَوْلَاهُ مُرْضِيًا وَزَارَ وَأَثْنَى خَيْرَ رُسْلٍ مُحَمَّدِ
وَعَادَ إِلَيْنَا بِابْتِهَاجٍ لِسُنَّةٍ مُنِيرًا لَنَا مَااللهُ يُرْضِي لِنَهْتَدِي[124]
فَنَالَ مِنَ الخَلَّاقِ مَا نَالَ وَحْدَهُ وَعَنْ سَائِرِ الحُجَّاجِ صَارَ بِمُفْرَدِ
وَمَا فَاعِلٌ مَنْ حَجَّ يَمْتَازُ لِامْرِئٍ سِوَى مَالِكٍ فَاخْتَصَّ مَا اخْتَصَّ مِنْ يَدِ[125]
لَقَدْ بَزَغَتْ شَمْسُ الإِنَارَةِ جَنْبَهُ عَلَى قُطْرِنَا حَتَّى اهْتَدَى كُلُّ مُقْتَدِي[126]
تَزَلْزَلَتِ الدُّنْيَا لِأَنْ كَانَ غُمِّيَتْ فَحَارَتْ قُلُوبُ المُسْتَنِيرِينَ فِي الغَدِ[127]

---

119 {السّياسة} مصدر ساس يسوس\ أمورَ النّاس: تدبّرها، وتولّى تدبيرها وتصريفها. {النّدى}: مصدر نَدِيَ فُلان، يندَى، انْدَ، نَدًى ونَداوَة، ونُدوَّة، فهو ندٍ ونَديٌّ ونَديانُ\ جاد، كرُم، سخا. يقال: فلان من ذوي النَّدَى.

120 {ملاء}: جمع مليء، أي: مفعَم، وممتلئ. ب{فوج}، أي: جماعة.

121 {دَوِيّ}: صَوت عظيم، أو انفجار.

122 {مؤبّد} مفعول من أبّد يؤبّد تأبيدا، والفاعل: مؤبِّد. وأبّد ذكرَه، أي: خلّده وأبقاه على الدّهر.

123 {الميقات} وميقات الحاجّ: موضع إحرامه. {لبّى} الحاجّ، أي: قال: "**لبّيك اللهم لبّيك**" ولبّى الشّخص النّداءَ، أي: استجاب له.

124 ب{ابتهاج} مصدر ابتهج يبتهج\ بالضّيف، أي: فرح وسُرّ به.

125 {من يد} يطلق لفظ اليد على النعمة والمساعدة، والمعروف. وما إليها.

126 {بزغت} الشمس، تبزُغُ بَزْغًا وبُزُغا، أي: طلعت وأشرقت. وفي القرآن، "**فلمّا رأى الشمس بازغة**" {قطرنا} والقطر جمعه أقطار، وأقطار البلاد، هي: جهاتها ونواحيها في أقاليمها.

127 {تزلزل} مطاوع زلزل، أي: اضطرب واهتزّ بعنف. {غمّيت} وغمّي عليه، أي: فقد الحسّ والحركة لعارض. {حارت} أي: تحيّرت. وحار يحُور حُرْ، حوْرًا\فلان: تحيّر أو رجع عن أو إلى.

وَلَوْ كَانَتِ الآجَالُ فِيهَا سَوِيَّةً أَوِ الأَجَلُ الأَقْصَى لِنَفْسِكَ نَحْمَدِ[128]
وَإِلَّا فَلَوْ أَنَّ الفِدَى لَكَ مُقْبَلٌ لِرُوحِكَ بِالأَرْوَاحِ يَارُوحُ نَفْتَدِي[129]
وَلَكِنْ قَضَى القَاضِي أُفُولَكَ دُونَنَا فَنَحْمَدُهُ نَرْضَاهُ مِنْ مُتَعَمَّدِ[130]
فَصَارَتْ تِوَاوُونٌ تَحُوزُ مَفَاخِرًا بِمَأْفَلِ سَعْدٍ فِي الحَوَائِجِ مُسْعِدِ[131]
أَلَا كُسِفَتْ شَمْسُ السَّمَا عَامَ شَمْسِنَا كَمَا كُسِفَتْ وَيْلِي بِهِ تَحْتَ مُلْحَدِ[132]
وَفِي ذَاكَ تَخْيِيلٌ عَلَى كَوْنِ أُخْتِنَا بَكَتْهَا وَأَهْلُ العُلْوِ وَالسُّفْلِ فَاقْتَدِ[133]
أَلَا يَوْمُهُ يَوْمُ الثُّلَاثَا بِظُهْرِهِ وَقَدْ بَاخَ حَرُّ الشَّمْسِ نَحْوَ تَبَرُّدِ[134]
بِذِي قَعْدَةٍ مَبْدَاهُ يَارَبِّ صَلِّيَنْ عَلَى خِلِّهِ البَرِّ المُشَفَّعِ فِي الغَدِ[135]
وَغُلِّقَتِ الأَبْوَابُ دُونَ تِجَارَةٍ وَقَدْ أُرْجِفَ الأَقْوَامُ مِنْ غَيْبِ سَيِّدِي[136]
وَأُذْهِشَتِ الأَلْبَابُ كَادَتْ تَصَدَّعَتْ صُدُورُ أَهَالِيهَا بِكُلِّ تَنَهُّدِ[137]

---

[128] {الآجال} جمع أجل، وهو الوقت المعيّن. قال تعالى: "**لكلّ أمّة أجل**" وقوله : فيها: أي: في الدّنيا.

[129] {الفدى} مصدر فَدَى يَفْدي فِدىً وفِداءً، وفَدًى. يقال: فداه بنفسه أو بماله أو بروحه، أي: استنقذه وخلّصه بها.

[130] {أفول} مصدر أفَل، وأفِل، بمعنى غاب، واختفى.

[131] {مفاخر} جمع مَفخَرة، وهي: ما يتباهى به، أو سبب أو مصدر السّعادة أو الرّضا.

[132] {كسفت} مجهول كَسَف يكسِف كُسوفا: ت\ الشمس، أي: ذهب ضوءها واسودّت. {عام شمسنا} أي: عام 1340 هجري. {مُلْحَد} بالفتح، وألحد الميتَ يُلحِده إلحادا، أي: دفنه في اللحد، واراه التّراب.

[133] {تخييل}، مصدر خيّر يخيّل: صوّر خياله في النّفس، وخيّل فيه الخير، أي: ظنّه وتفرّس وتوسَّمه.

[134] {ألا يومه} أي: يوم وفاة الشيخ الحاج مالك سه رضي الله تعالى عنه. {باخ} يبوخ بَوْخا وبوَخانا\ الحرّ، أو: ت النّار، أي: سكنت، وفترت.

[135] {بذي قعدة} أي: بشهر ذي القعدة، الشّهر الحادي عشر. {مبداه} أي: بدايته. {خِلّه} والخلّ: الصّديق الوفيّ، أو المفضّل، يُستعمل للمذكّر والمؤنّث، وجمعه: أخلال.

[136] {غُلّقت}، أي: أُقفِلتْ، وسُدّتْ جيّدا. وفي القرآن: "**وغلّقت الأبواب**" {أُرجِف} أي: زُلْزل، وهُزَّ. وأَرجف القومُ، أي: خاضوا بالأخبار السّيّئة وذكر الفتن، قال تعالى: "والمرجفون في المدينة" أي: الذين يُولّدون الأخبار الكاذبة التي يصحبها اضطراب في النّاس.

[137] {أُدهِشت الألباب} أي: حُيّرتْ وأُذهلت. والألباب جمع لبّ، وهو العقل، واللّبّ من كلّ شيء: خالصه وخياره وحقيقته وجوهره، وجوهر الإنسان: عقله. {كادت} كاد يكاد كَودًا، من أفعال المقاربة، مثل أوشك التي بمعنى قارب. وهو

يُخَيِّلُنِي يَوْمَ النَّبِيّ إِمَامِنَا عَلَى غُمَّةٍ فِي حَيْرَةٍ وَتَوَقُّدِ[138]
فَغَصَّتْ فِجَاجُ الأَرْضِ لَمْ تُرَ فُرْجَةٌ تَقُولُ أَلَا عِنْدِي سَبِيلٌ لِوُرَّدِ[139]
فَكَانَ اتِّصَالُ الذَّاكِرِينَ اتِّصَالَهُمْ بُكَاءً لَدَى كُلِّ الطَّرِيقِ وَمَقْعَدِ
فَوَا أَسَفًا عَامَ انْقِرَاضِ غَطَارِفٍ وَتَفْقَادِ أَحْبَابٍ وَغُرٍّ وَصِنْدِدِ[140]
لَهُ إِخْوَةٌ طِينًا وَدِينًا تَسَلَّفَتْ لِدَارِ البَقَا وَالكُلُّ فَاقَ بِسُؤْدَدِ[141]
سَعِيدَانِ مَحْمُودٌ عُمَرْ وَمُحَمَّدَا نِ فَاطِمَةٌ بِنْتٌ لَهُ فِي تَوَدُّدِ
وَمَنْ لِي بِإِخْرَاجِ الحَقَائِقِ نَاصِحًا وَمَنْ لِي بِتَدْرَاسِ الكِتَابِ وَمُسْنَدِ[142]

فعل ماضٍ ناقص له اسم مرفوع وخبر مضارع مرفوع أو منصوب ب{أن} قليلا. {تصدّعت} تصدّع الجدار أو البناء، يتصدّع تصدّعا: تشقّق، قال تعالى: "**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدّعا من خشية الله**" {صُدور} جمع صدر، وهو: ما دون العنف إلى البطن. {تنهّد} والتّنهّد: إخراج النّفَس مع مدّه ألما وحُزْنا، يقال: تنهّد المريض من الألم.

[138] {غمّة} والغمّة: الحُزن، أو الكُربة، أو المصيبة، وجمعها: غمم، وفي التّنزيل: "**ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة**" {حيرة} مصدر حار يحار حَرْ حَيْرَةً وحَيْرانا، وحيْرا وحَيَرا، فهو حائر وحيْران، ومعناها: التّردد والاضراب، والارتباك، {توقّد} مصدر توقَّد يتوقّد، ت: النّار: أي: التهبت، واشتعلت، وتوقّد مطاوع وقّد.

[139] {فغصّت} غَصّ المكان بالنّاس، أي: امتلأ بهم وضاق عليهم، يقال: حضر المدعوّون فغصّت القاعة بهم. {فجاج} جمع فجّ، وهو: الطّريق الواسع البعيد. قال تعالى: "**لتسلكوا منها سبلا فجاجا**". أو الشقّ في الطّريق، وفي التّنزيل: "**وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق**" فقولهم: من كلّ فجٍّ وصوب، أي: من جميع الأقطار والجهات. {فرجة}: شقّ بين شيئين، أو مسافة أو ثقب. وجمعها: فُرَج، وفُرُجَات، وفُرْجَات. {وُرّد}: جمع وارد، وهو الآتي إلى مكان دخله أو لم يدخله. ويُجمع أيضا على وارِدون، وواردات، وَوُرّاد.

[140] {فوا أسفا} والأسف: الحزن والألم، تقول العرب: ياللأسف، و وا أسفا، وغيرهما تعبيرا عن تحسّرها وتوجّعها لحادث ما. {انقراض} مصدر انقرض ينقرض انقرض، أي: اختفى شيء من فوق وجه الأرض بدون رجعة. {غطارف} جمع غطريف، أي: سيّد كريم شريف سخيّ، أو شاب ظريف، والأصل غطاريف. {تفقاد} تفعال من الفقد، للكثرة والتكرّر. {غرّ} جمع أغرّ، وهو السّيد الشريف الكريم الفعال. {قائد أغرّ} {صندد} و الصندد: السّيّد الشجاع. والصّناديد: هم السّادات والأشراف والعظماء.

[141] {تسلّفت} من السّلَف، وهو جمع سالف، بمعنى: المتقدّم، السّابق.

[142] {الحقائق} جمع حقيقة، وحقيقة الشيء، هي: الواقع كما هو، أو ما هو ثابت صحيح. {تدراس} تفعال، من التدريس. {مسند} أي: الحديث}.

وَمَنْ لِي بِوَرْشٍ بَلْ جُنَيْدٍ وَالَاشْعَرِي وَمَنْ لِي بِئَادَابٍ وَضَرْبِ المُعَدَّدِ[143]
وَمَنْ لِي بِبَذْلِ الفِقْهِ وَالنَّحْوِ مَنْطِقٍ بَيَانٍ مَعَانِيهَا بَدِيعِ بِمُسْعِدِ
وَمَنْ لِي بِنَجْمٍ فِي النُّجُومِ وَمُوصِلٍ أُصُولًا عَرُوضًا سِيرَةَ البَدْرِ مِقْوَدِي[144]
وَمَنْ لِي بِبَحْرٍ يُسْتَغَاثُ بِوِرْدِهِ وَأَمْوَاجُهُ يُرْوَى بِهَا غُلَلُ الصَّدِّ[145]
وَمَنْ لِي بِأُسْتَاذٍ يُرَبِّي مُرِيدَهُ بِلَا خَلْوَةٍ بَلْ هِمَّةٍ مِثْلَ أَحْمَدِ[146]
وَمَنْ لِي بِتَأْلِيفٍ يُذَكِّرُ مَنْ مَضَى قَدِيمًا عَلَى نَهْجِ الرَّسُولِ مُسَدَّدِ
كِفَايَتُهُ تَكْفِي لِمَنْ كَانَ رَاغِبًا بِحَضْرَةِ رَبِّ الخَلْقِ خَيْرَ تَزَوُّدِ[147]
وَأَفْحَمَ إِفْحَامُ السَّمَيْدَعِ مُنْكِرًا أَبَا الفَيْضِ مِمْدَادَ الرِّجَالِ المُجَدِّدِ[148]

---

[143] {ورش} هو أبو سعيد، عثمان بن سعيد القارئ المصري، ولد سنة 110هـ، وتوفّي سنة 197هـ. وله رواية عن الإمام نافع، منسوبة إليه، ولذا تسمّى رواية {ورش}. {جنيد}: هو الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمّد بن الجنيد النّهاوندي البغدادي القوايري، ولد سنة 221هـ وتوفّي 297هـ، ببغداد. {الأشعري}: هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. وكنيته: أبو الحسن الأشعري، ولد سنة 260هـ، وقيل 270هـ، بالبصرة، وتوفّي سنة 324هـ ببغداد. وإليه ينسب المذهب الأشعري. {ضرب المعدّد} أي: علم الفرائض، {الميراث}.

[144] {في النجوم} أي: علم النّجوم. {مقودي} والمقود، هو: الحبل الذي يشدّ في الزّمام أو اللجام، وتقاد به الدّابة.

[145] {يُستغاث}: مجهول من استغاث يستغيث\ بفلان، أي: طلب منه النّصرة والنّجدة. {أمواجه} والأمواج: جمع موجة، وهي: ما علا من سطح الماء وتتابع. {غلل} جمع غلّة، وهي: شدّة العطش. {الصّدّ}، أي: الإعراض والصُّدوف. صدّ فلان عن الشّيء، يصِدّ ويصُدّ صَدّا وصدودا، أي: أعرض عنه.

[146] {أستاذ} أي: معلّم، من يمارس تعليم علم أو فنّ. أوماهر في صناعة. {خلوة} أي: عُزلة. والخلوة: مصدر خلا يخلو خلوةً وخَلوا وخَلاء، أي: انفرد. {همّة} أي: عزم.

[147] {كفايته} أي: كتابه المشهور كفاية الرّاغبين، فيما يهدي إلى حضرة ربّ العالمين.

[148] {أفحم} فلانٌ خصمَه، يُفحِمه إفحاما: أي: أسكته بالحُجّة القاطعة، وأعجزه عن الجواب. {إفحام} أي: كتابه إفحام المنكر الجاني، على طريق سيّدنا ووسيلتنا إلى ربّنا أحمد بن محمّد التّجاني رضي الله تعالى عنه. {السّميدع}: الشجاع، السّيّد الكريم. وجمعه سمادع، وسمادعة. والمقصود به الشيخ الحاج مالك. {أبا الفيض} شيخنا وسندنا أحمد التّجاني الشريف الفاطمي، رضي الله تعالى عنه. {ممداد} مفعال من أمدّ، للدّلالة على المبالغة في الإمداد.

عَلَى أَنَّنِي فِي شُكْرِ رِبِّي بِمَنِّهِ عَلَيْنَا بِنَجْلٍ حَازَ مَا الأَصْلُ يَرْتَدِي[149]
وَلَا غَرْوَ فِي إِرْثِ الوَلِيدِ بِوَالِدٍ كَمَا قَالَ هَذَا النَّجْلُ مَدَّاحُ مَنْ هُدِي[150]
فَنَجْلُ ابْنِ عُثْمَانَ السَّرِيِّ مُذَكِّرُ الـ ـعَتِيقِ ابْنِ عُثْمَانٍ بُعَيْدَ مُحَمَّدِ[151]
فَكُنْتَ أَبَا بَكْرٍ وَقَدْ كَانَ بَعْدَهُ إِمَامًا فَبَايَعْنَاكَ بِاليَدِ فَاليَدِ
فَلَا مُقْلَةٌ مِنَّا تَرَى غَيْرَ وَجْهِكُمْ وَلَا خَيْرَ فِي الخَوَّانِ مِطْوَاعِ حُسَّدِ[152]
فَنَسْأَلُ رَبِّي اللهَ تَأْيِيدَهُ لَنَا وَتَعْمِيرَهُ إِيَّاكُمُ فِي تَوَدُّدِ[153]
وَهَلْ أَحَدٌ يَرْضَاهُ غَيْرَ مُوَكَّلٍ حَبِيبٍ لَهُ حَقًّا كَرِيمٍ مُسَعَّدِ[154]
سَعِيدُ بْنُ نُورٍ صَارَ سَعْدًا لِقَوْمِهِ كَفِيلًا أَمِينًا مُحْسِنًا حَاتِمَ اليَدِ[155]
يُذَكِّرُنَا سَعْدَ السُّعُودِ التِي سَمَتْ بِمَكَّةَ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرِو بْنِ سَيِّدِ[156]
فَقَامَ مَقَامَ الحَمْدِ لَا تَأْخُذَنَّهُ مَلَامَةُ لَوَّامٍ عَلَى الشَّيْخِ فَاقْتَدِ[157]

---

[149] {بمنّه} والمنّ: مصدر منّ، يمُنُّ\ الله علينا، أي: أنعم علينا نعمة عظيمة. {بنجل}، والنّجل: النّسل. {يرتدي} مضارع ارتدى، يرتدي، ارتداء\ الثّيابَ، أو بها، أي: لبسها.

[150] {لاغرو} أي: لاعجب. {إرث} مصدر ورِث يرِث الميت، أي: حصل على أملاكه بعد وفاته. {الوليد}، أي: مولود. {مدّاح} مبالغة من المدح، أي: كثير المدح.

[151] {السّريّ}: صاحب مروءة في كرم. رجل سريّ، أي: شريف سخيّ.

[152] {مقلة} ومقلة العين: سوادها وبياضها الذي يدور في العين كلّه، أو هي: العين كلّها. وجمعها: مُقل ومُقْلات، ومُقْلات. {الخوّان} صيغة مبالغة من خان، أي: كثير الخيانة مصرّ عليها. {مطواع} أي: مطيع، ومِطواع، مفرد مطاويع، صيغة مبالغة من طاع بِهِ أوْ لَهُ، أي: أسرع إلى طاعته. رجل مطواع وامرأة مطواع. {حُسّد} جمع حاسد ويجمع على حُسّاد وحَسَدة.

[153] {تأييده} والتّأييد: مصدر أيّد يؤيّد، بمعنى الإسناد والدّعم، وجمعه: تأييدات. {تعميره} مصدر عمّر يعمّره الله، أي: أبقاه، وأطال عمره.

[154] {موكّل} اسم مفعول من وكّل الشّخصَ يوكّله توكيلا، أي: جعله وكيلا له قائما بالأمر نيابة عنه.

[155] {كفيلا} وكفيل، وكافل، بمعنى ضمين وضامن. {حاتم اليد} أي: حاتم الطّائي المشهور، الذي يضرب به المثل في الكرم والجود، ويقال: إنّه أكرم العرب. وهو شاعر عربيّ جاهلي، أمير قبيلة طيء، توفّي 46 قبل الهجرة.

[156] {سعد السعود} كوكب من كواكب سُعود النّجوم. {سمت} سما الشيء يسمو سموّا، أي: ارتفع.

[157] {ملامة} مصدر ميمي من لام يلوم لوما\ـه، أي: وبّخه، وعاتبه. {لوّام} مبالغة من لائم، وهو الكثير اللوم.

لَهُ مَالَهُ مِنْ رَافِعِ الصِّيتِ يَالَهُ مِنَ الجَانِبَيْنِ هِمَّةٍ ثُمَّ مَحْتِدِ[158]

جَزَاهُ وَأَعْطَاهُ المَرَامَ إِلَهُنَا عَنِ الشَّيْخِ فِي حِفْظِ الإِلَهِ المُمَجِّدِ[159]

أَيَا رَبِّ يَا رَحْمَانُ يَا خَالِقَ الثَّرَى وَيَا وَاهِبَ الجَنَّاتِ خَلَّاصَ أَعْبُدِ[160]

وَيَا قَاضِيًا تَغْيِيبَ ذَا البَدْرِ فَاقْضِيَنْ لَهُ بِجِنَانٍ قَدْ عَلَتْ رَبِّ وَازْدَدِ[161]

فَيَا بَرُّ يَا سَتَّارُ نَوِّرْ ضَرِيحَهُ بِأَنْوَارِ مَرْضَاةٍ مُنِيرَاتِ مَقْصِدِ[162]

وَأَوْلِ أَبَا المَنْصُورِ مَا نَحْنُ نَرْتَجِي بِفَضْلٍ مِنَ اضْعَافِ الأُجُورِ مِنَ اليَدِ[163]

يُلَاقِيهِ جَمٌّ مِنْ سُرُورٍ وَنَضْرَةٍ وَحُورٍ حَرِيرٍ ثُمَّ وِلْدَانِ خُلَّدِ[164]

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَهْجُو مُبَالِغَ غَايَةٍ فَرُمْ غَايَةَ الأَوْصَافِ مَدْحًا فَتَعْتَدِ[165]

فَالِاسْهَابُ إِقْلَالٌ عَلَى ذِكْرِ فَضْلِهِ لِذَا اخْتَرْتُ خَتْمًا بِاكْتِفَاءٍ بِمُثْمِدِ[166]

---

158 {الصيت}: السّمعة. {محتِد}: الأصل، يقال: إنّه كريم المحتِد.

159 {المرام}: المطلب، المقصد. {الممجّد} المعظَّم. مجّد يمجّد تمجيدا\ الرّئيسَ: عظّمه، وأثنى عليه.

160 {خالق الثّرى} الثّرى: التّراب.

161 {جنان} بالكسر: جمع جنّة. {علت} أي: ارتفعت، والتّاء للتّأنيث.

162 {ضريحه}، أي: قبره، وجمعه أضرحة وضرائح. {مرضاة} مصدر رضي يرضي رضًى ورضوانا، أي: قبل وأقرّ. {منيرات} جمع مؤنّث لمنيرة، وهي اسم فاعلة لفعل أنارت تُنير إنارة، أي: أضاءت، والتّاء علامة التّأنيث.

163 {أَوْلِ} أمر من أولى يُولِي، إيلاء: صديقَه ثقةً، أي: منحه إيّاها. {أضعاف} جمع ضعف، وهو: المِثل، والمقدار مرّتين، أو ما زاد على ذلك. {الأجور} جمع أجر، وهو عِوض العمل والانتفاع. أو ما يُعطى مقابل شيء معيّن. {من اليد} واليد تطلق على النّعمة والإحسان والمعروف، وغيرها.

164 {جمّ} الجمّ والجَمَم: الكثير من كلّ شيء. مالٌ جمٌّ، أي: كثير. قال تعالى:" **وتحبّون المال حُبّا جمّا**". {نضرة} أي: حُسْنٌ وإشراق وبهجة، ورونق، قال تعالى: " **تعرف في وجوههم نضرة نعيم**" {حُور} أي: نساء الجنّة، وحُور عِين. أي: نساء بيض، أو واسعات العَين، أو شديدات بياض العين مع شدّة سواد الحدقة. {حرير} جمعه حرائرُ، وحرايِرُ، وهو: نوع رقيق من النّسيج يصنع من خيوط دُود القزّ، وتصنع منه الملابس. {ولدان} ووَلائِدُ جمع وليد، وهو: المولود حين يُولد.

165 {تهجو} من هجا يهجُو هِجَاءً وهَجْوا\ الشّاعرُ فلانا، أي: ذمّه وعدّد مَعايِبهُ. {رُمْ} أمر من رام يروم رَوْمًا، أي: طلب. {فتعتد} من اعتدى يعتدي اعتداء\ عليه، أي: تهجّم عليه بالضّرب أو غيره.

166 {الاسهاب} أي: المبالغة. {مثمد} اسم فاعل من أثمد يُثمد إثمادا\عينَه، أي: كحّلها بالإثمد. والإثمد هو: حجر الكحل.

وَنَسْأَلُ رِبِّي اللهَ تَعْمِيرَ نَسْلِهِ بِجَاهِ النَّبِي فِي أَطْيَبِ العَيْشِ أَرْغَدِ[167]
لِكُلِّهِمُ يُسْرَى العُلَا وَسِيَاسَةٍ وَأُبْدِلَ مِنْ نَحْسِ البَلَا خَيْرَ الَاسْعَدِ[168]
وَنَرْجُو مِنَ الرَّحْمَانِ تَجْمِيعَ شَمْلِهِ بِزُمْرَةِ خَيْرِ العَالَمِينَ مُحَمَّدِ[169]
عَلَيْهِ بِلَاحَدٍّ مَعَ الآلِ صَحْبِهِ صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ يَفُوقُ كَأَرْنُدِ[170]
وَالَازْوَاجِ وَالذُّرِّيَّةِ الدَّهْرَ سَرْمَدًا كَذَا التَّابِعُونَ التَّابِعُونَ وَمُقْتَدِي[171]

انتهت

---

[167] {نسله} والنّسل: الأولاد، والذّرّيّة. {أرغد} أي: أوسع وأطيب.

[168] {يسرى} أي: الميسرة، وميسرة عمل: سهولته. {نحس البلا} والنّحس هو نقيض السّعد، و{البلا} أي: البلاء بالمدّ، أي: المصاعب والمصائب.

[169] {شمله} وشمل القوم: مجتمعهم. يقال: جمع الله شملهم، أي: ما تفرّق من أمرهم. {زمرة} أي: فوج، أو جماعة من النّاس تربطهم صفات مشتركة، وجمعها: زمُرات، وزُمْرات، وزُمَرُ.

[170] جمع رند، والرّند شجرة صغيرة طيّبة الرّائحة، أزهارها بيض صغار.

[171] {سرمدا} أي: دائما متّصلا غير منقطع.

غرض القصيدة وجوّها:

وكما علمنا بأنّ هذه القصيدة تتناول غرضا مهمّا من أغراض الشّعر، والذي يحتلّ مكانة سامية من الشّعر العربي منذ زمن سحيق، وهو الرِّثاء أو المرثيّة.

والمطّلع على هذه القصيدة يكتشف قدرة الشّاعر الشّعريّة، وطول باعه في وصف المواقف والأحوال، ممّا يعطي القصيدة هذه الشّهرة الفائقة في جميع بقاع السّنغال، يتغنّى بها المغنّون، وتقرأ وتفسّر في الدّوائر والاجتماعات الدّينيّة التّجانيّة المالكيّة في السّنغال وفي باقي المدن والقرى! حتّى سمّيت بقصيدة (ألا يومه) وهي في الحقيقة ليست اسما لها وإنّما هي جزء منها من قوله:

أَلَا يَوْمُهُ يَوْمُ الثُّلَثَّا بِظُهْرِهِ وَقَدْ بَاخَ حَرُّ الشَّمْسِ نَحْوَ تَبَرُّدِ

حيث وصف في هذا البيت وما بعده شدّة الموفق وهوله وكيف استجاب الجوّ لهذا العجب العجاب الذي هو رحيل الشّيخ الحاج مالك سه رضي الله تعالى عنه.

وغير هذا مما يمكن ذكره هنا لو لا مخافة التّطويل.

بكلّ اختصار إنّها قصيدة رِثائيّة قالها الشّيخ علي غي في رثاء شيخه الشيخ الحاج مالك وذكر مناقبه والتّفجّع والتّوجّع لوفاته، والتّعجّب في إمكانيّة وجود مثله في العلم والأخلاق، والعبادة، والإصلاح والإرشاد. وفي تصنيفها وترتيبها نبحث عن شيء مهم وهو:

بحر القصيدة وقافيتها:

إنّها من بحر الطّويل صاحب العروض المقبوضة وضربها المماثل.

وقافيتها مطلقة مجرّدة عن الرّدف والتّأسيس موصولة بلين، ورويّها (دال) مكسورة.

عدد أبيات القصيدة ونسخها الموجودة:

عند البحث عن نسخ من هذه القصيدة عثرنا على نسختين منها إضافة إلى النّسخة التي اعتمدناها، وهي تحتوي على 109 بيت.

والثّانية مخطوطة الأستاذ منير انغران، ويبلغ عدد أبياتها 123 بيت.

والثّالثة نسخة لم يذكر اسم ناسخها عليها، وأبياتها 103 بيت.

هذه هي النّسخ المتوفّرة عندنا وبالملاحظة نجد أنّ الأبيات مختلفة من حيث العدد، وهذا يحدث كثيرا في المخطوطات، والسّبب ـ في الغالب ـ يعود إلى كثرة النّقل، والتداولات.

وعلى كلّ فإنّنا قد حاولنا كلّ المحاولة لتصحيح النّسخة التي عندنا وتنقيحها وضبطها ضبطا يعين القارئ على القراءة والفهم، مع شرح لغويّ بسيط لألفاظها اعتمادا على معاجم اللغة. والله تعالى أدرى وأعلم.

الدراسات والمعالجات السّابقة للقصيدة:

وكما قلنا سابقا بأنّ هذه المرثيّة ذات شهرة وسمعة في جميع بقاع السّنغال، وأنّها تقرأ في المناسبات والحفلات الدّينيّة التّجانيّة المالكيّة، ورغم ذلك فإنّنا لم نسمع قطّ بأنّ واحد من الباحثين قد عالجها في الدّراسات والبحوث الجامعيّة، كلّما في الأمر هو الاستشهاد بها في مباحث المراثي من الدّراسات والبحوث المتعلقة بشخصيّة الشّيخ الحاج مالك.

وكثيرا ما كنّا ننوي شرحها ولو لغويّا فقط، إلى قدّر الله أن نتناولها في هذا البحث الموجز

فالله وليّ التّوفيق.

المنحى اللغوي:

الذي ينظر في هذه القصيدة بالمنظور اللغوي يدرك تماما أنّها من القصائد التي تحيي اللغة العربيّة، لاستغلال قائلها طاقته اللغويّة في استخدام مفردات وكلمات[172] ألفناها فقط في الأشعار الجاهليّة، بحيث إنّ القارئ ـ في أوّل الوهلة ـ يكاد يجزم على أنّها قيلت في العصور الجاهليّة؛ لولا وجود أبيات أخرى فيها بمفردات قرآنيّة[173] وذلك لورود ألفاظ وأسماء فيها مألوفةٍ في الأشعار الجاهليّة[174].

إذن باختصار شديد، إنّ هذه القصيدة تعدّ من بين القصائد الرّائعة الغنيّة لغة، والتي قد أسهمت إسهاما كبيرا في إحياء ثروة اللغة العربيّة وبلورتها، نفس الشيء الذي لاحظناه في:

منحاها النّحويّ والصّرفي:

حيث نرى الشّاعر يتنزّه في رياض النّحو والصّرف متمتّعا بقدرته النّحويّة والصّرفيّة[175]، يستخدم بعض القواعد والأحكام النّحويّة الرّفيعة المستوى كإعماله المصدر عند قوله:

ومن عجب تغسيله الكلَّ قلّةٌ؛

بإضافة المصدر إلى معموله الذي هو المضاف إليه لفظا، والمفعول به محلّا، بدليل نصب التّوكيد (الكل) مراعاة للمحل. ثمّ جاء أخيرا الفاعل (قلّةٌ) على حدّ قول الشّاعر[176]:

تَـنْفِي يَـدَاهَا الـحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفْيَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَـادُ الصَّـيَارِيفِ

---

[172] ولا سيّما في الأبيات الثلاثة الأول.

[173] كاستعماله كلمة (نضرة) و (حور) وكذلك (ولدان مخلّدون)

[174] كالأطلال، وبرقة ثهمد، وليلى، والرّباب، وفرتنى، وخرّد، إلى آخرها. وقد تناولنا شرح كل ما يحتاج إلى شرح.

[175] ولا تنس أنّه كان من أقرب التّلاميذ للشّيخ الحاج مالك، ومن كتبته أيضا.

[176] ابن عقيل، في باب إعمال المصدر.

بإضافة (نفي) على مفعوله، ثمّ يأتي بعده الفاعل (تنقاد). قال ابن مالك في ألفيّته[177]:

وَبَعْدَ جَرِّهِ الذِي أُضِيفَ لَهْ كَمِّلْ بِنَصْبٍ أَوْ بِرَفْعٍ عَمَلَهْ
وَجُرَّ مَا يَتْبَعُ مَا جُرَّ وَمَنْ رَاعَى فِي الإِتْبَاعِ المَحَلَّ فَحَسَنْ

وغير هذا من استعمالات تحلّت بها هذه الدّاليّة[178] تدلّ على مدى القدرة النّحويّة الكامنة في المؤلّف.

وكذلك نلاحظ البعد الصّرفي عند قراءة القصيدة باستخدام الشّاعر الصّيغ الصّرفيّة النّادرة للمبالغة[179] وقصر الممدود،[180] والنّقل[181] مراعاة للوزن، وكذلك النّحت[182] وغيرها من الأمور التي يضيق هذا البحث الموجز لذكرها، ولهذا نكتفي ـ في هذا الجانب ـ بهذا القدر، للمواصلة مع منحى آخر وهو:

المنحى البلاغي:

الذي يقرأ القصيدة ويتأمّلها بالمنظار البلاغي مع الذّوق السّليم، يعلم يقينا أنّها حافلة بالنّكت البلاغيّة، وهذه نقطة مهمّة تزيدها رونقا وجمالا، وتعطيها مكانة عظيمة، لأنّه ليس من المعقول والمقبول أن تستغني قصيدة عربيّة عن علم البلاغة الذي ـ كما تعلمون ـ يساعد القائل على تأدية معنى كلامه على الوجه الأحسن والأتمّ.

---

177 ابن عقيل في باب إعمال المصدر.

178 كإعمال اسم الفاعل، عند قوله: (وارث ...أبا الفيض) وكذلك الفصل بين المتعاطفين في قوله: (وما قول هند ـ بله سلمى ـ ومهدد)

179 كاستعماله كثيرا صيغة (تفعال) ك (تذكار) و (توصاف) و (تدراس). وكذلك صيغة (فعّال) ك (طهّار) و (مدّاح). و صيغة (مِفعال) ك (مِغياث) (ممداد) وغيرها من الصّيغ الصّرفيّة التي تفيد المبالغة..

180 كقوله: (عون للأحبّا وحسّد) والأصل (الأحبّاء) وكذلك الأخلّا، والأصل الأخلّاء.

181 كقوله من اعبد؛ من قوله: (ولكن بأرواح القلوب من اعبد) بنقل حركة الهمزة إلى النّون. وكذلك قوله: (منَ اضعاف الأجور)

182 في قوله: (مِلبحر) والأصل (ملء البحر).

وأثناء جولتنا في ثنايا المرثيّة رأينا أنّ الشّاعر ـ رحمه الله ـ قد استخدم فيها أساليب بلاغيّة كثيرة ومختلفة، لإبراز ما يعانيه من الحزن والألم جرّاء فقدان شيخه رضي الله تعالى عنه، حيث يتفاعل مع القارئ بشكل رائع وأساليب مختلفة كقوله: (ودع عنك كذا) وقوله: (ولكن تفكّر) و (فيا عجبا) و (ومن عجب) وكلّ ذلك للتّنبيه على هول هذا الموقف الرّهيب العظيم، ووجوب التّوقّف بوقفات تأمّل وإعادة نظر، لرحيل هذا النّدب الكريم، فقيد الإسلام والمسلمين. وإلى الآن تعدّ هذه القصيدة من أروع القصائد الرّثائيّة التي قيلت في حقّ الشّيخ الحاج مالك بعد وفاته، يتغنّى بها المغنّون، ويشرحها الشّارحون في المواسم والمناسبات الدّينيّة.

وممّا لاحظناه من النّكت البلاغيّة[183]:

ـ التّشبيه المجمل[184]:

حيث شبّه الشّيخَ الحاج مالكا بالنّجم والبدر بجامع النّور أو الضّياء؛ في قوله:

وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ مُهْتَدٍ كَنَجْمِ الدُّجَى بَلْ بَدْرِهَا الـمُتَوَقِّدِ

ـ التّشبيه البليغ[185]:

من قوله فَوَاعَجَبًا مِنْ أَحْسَنِ الدُّرِّ حُزْتَهُ؛ إذ شبّه الشّيخَ بالدّرّة بجامع الرّفعة والغلاء، وغيرها من تشبيهات.

ـ استعارة مكنيّة[186]:

في كلمة (مزبد) من البيت:

---

[183] قد لا نأتي بكلّ ما رأيناه في القصيدة من النّكت البلاغيّة، أو الأمثلة، لضيق الوقت، ولوجازة البحث بالإضافة إلى أنّنا لسنا بصدد القيام بالدّراسة الأدبيّة لهذه القصيدة، ولهذا نكتفي ببعض النّكت فقط مع التمثيل والبيان، إن شاء الله.

[184] التّشبيه المجمل، هو: ما حذف منه وجه الشّبه. (البلاغة الواضحة ص 25)

[185] التّشبيه البليغ؛ هو: ما حذف منه الأداة ووجه الشّبه. (البلاغة الواضحة، ص 25)

[186] الاستعارة المكنيّة، هي: ما حذف فيها المشبّه به ورمز بشيء من لوازمه (المصدر السّابق ص 77)

وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ نَاسِكٍ تَقِيّ نَقِيّ غَازِرِ الجُودِ مُزْبِدِ

وذلك عندما شبّهه بالبحر، فحذف المشبّه به (البحر) ثمّ أتى بشيء من أوصافه وهو الإزباد الذي بمعنى القذف بالزّبَد.

ـ الكناية[187]:

في قوله:

جَزِيلٌ جُزَيْلٌ ذُو مَقَامٍ مُرَفَّعٍ فَرِيدٌ طَوِيلُ البَاعِ وَالرِّجْلِ وَاليَدِ

فقوله: طويل الباع ..... إلخ؛ كناية عن الجود والكرم والخلق الواسع وبلوغ الغاية.

ـ الجناس التّام[188]:

وهو بين قوله: (**ألا كسفت شمس السّما عام شمسنا**) باتّفاق كلمتي الشّمس لفظا واختلافهما معنى،[189]

ـ جناس غير تام:

وذلك بين (سعيد) و(سعد) من قوله: سعيد بن نور صار سعدا لقومه.

ـ التّورية[190]

ففي قوله: **كِفَايَتُهُ تَكْفِي لِمَنْ كَانَ رَاغِبًا.**

---

[187] الكناية؛ هي: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى. (البلاغة الواضحة، ص 125)

[188] الجناس هو: أن يتشابه اللفظان في النّطق ويختلفا في المعنى. (البلاغة الواضحة ص 265)

[189] الكلمة الأولى معناها معروف، وهو هذا الكوكب المضيء. وأمّا الثّانية، فهي رمز للعام الهجري لوفاة الشّيخ الحاج مالك، وهو (1340) هج.

[190] التّورية؛ هي: أن يذكر المتكلّم لفظا مفردا له معنيان قريب ظاهر غير مراد وبعيد خفيّ هو المراد. (البلاغة الواضحة ص 277)

فقد يظنّ النّاظر لأوّل الوهلة، أنّ (كفايته) تحمل معناها الظّاهر، بيد أنّ المقصود بها هو كتاب الشّيخ الحاج مالك المسمّى بـ: (كفاية الرّاغبين، فيما يهدي إلى حضرة ربّ العالمين)

هذه بعض أمور تتعلّق بالقصيدة من النّاحية البلاغيّة، حاولنا أن نوردها هنا تنبيها لرونق القصيدة وجمالها، وكونها فريدة من نوعها فجزى الله قائلها خير الجزاء.

المبحث الثّاني: إبراز شخصيّة الشّيخ الحاج مالك.

قبل البدء في العمل نذكّر بأنه ليس المقصود من هذه الدّراسة، تناولَ أبيات القصيدة كلّها، وتتبّعها بيتا بعد بيت، أو وحدة بعد وحدة، وإنّما المراد منها إبراز بعض الشّخصيّات المختلفة الكامنة في الشّيخ الحاج مالك من خلال هذه القصيدة، والتي تتكامل في بناء شخصيّة إنسانيّة لا يكاد يستهان بها رغم عبور الأزمنة ودروس الأمكنة!

هذا هو المقصود، ولهذا قد نحيد أحيانا عن التّرتيب، ونتجاوز بعض الأبيات الغير المنصبّة في الموضوع المتحدّث فيه! ونفرّق بين الصّدر والعجز إذا اختلف موضوعاهما. أمّا القصيدة بكاملها فقد سردناها مع شرح بسيط لألفاظها، فمن أرادها كاملة فعليه بها.

ويمكن ترتيب الشّخصيّات التي لمسناها من خلال قراءتنا هذه المرثيّة كالتّالي:

ـ الشّخصيّة الدّينيّة.

ـ الشّخصيّة الخلقيّة.

ـ الشّخصيّة العلميّة.

ـ الشّخصيّة الإصلاحيّة.

ـ الشّخصيّة القياديّة.

هذه الشّخصيّات الخمس هي التي سنتحدّث عنها اعتمادا على أبيات القصيدة، واستنادا أيضا لأبيات أخرى تؤيّدها. فنبدأ بعون الله وتوفيقه بـــ:

شخصيّته الدّينيّة:

يقول الشيخ علي غي، رضي الله تعالى عنه:

وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ مُقْتَفًى بِهِ سُنَّةُ الهَادِي النَّبِيّ مُحَمَّدِ[191]

وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْـــــعَةُ نَاسِكٍ .....

وَلِيٌّ مَنَارُ الدِّينِ أَعْلَاهُ رِفْعَةً إِنَارَاتُهُ عَمَّتْ عُمُومَ مُحَمَّدِ

عَدُولٌ عَنِ الإِرْخَاصِ لَمْ يُلْفَ رَاكِبًا جَوَازًا وَلَا التَّأْوِيلَ لَا بَلْ بِأَوْكَدِ

وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ مَا احْتَاطَ إِذْ دَجَا ظَلَامُ شُكُوكٍ فِي أُمُورِ التَّعَبُّدِ

وَلِيٌّ شَهِيرٌ كَامِلٌ مُتَكَامِنٌ وَمَرْمَاهُ مَرْمَى سَيِّدِ القَوْمِ أَحْمَدِ

لِفَقْدِ عِمَادِ الدِّينِ شَمْسِ فُرُوضِهِ وَمِصْبَاحِ مَنْدُوبَاتِهِ وَالمُجَدِّدِ

ينصح الشّاعر في هذه الأبيات بالوقوف وقفة تفكّر وتأمّل على شخصيّة الشّيخ الحاج مالك الدّينيّة، وعلى مدى اقتفائه بسنّة الحبيب المصطفى ﷺ، حيث إنّه كان يقول: **"يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ ﷺ أَوْسَعَ مِنِّي قَدَمًا وَأَبْعَدَ مِنِّي خُطْوَةً، وَلَكِنِّي سَأَسْعَى دَائِمًا عَلَى أَثَرِ قَدَمَيْهِ مَهْمَا اقْتَضَى ذَلِكَ مِنْ جَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ"**[192]. فهذا دليل واضح على شدّة تمسّكه وتعلّقه رضي الله تعالى عنه بحبيبه المصطفى ﷺ. يرمي في مرماه ويصبّ في مصبّه. ويشهد هذا أيضا قول ابنه وخليفته رضي الله تعالى عنه:

لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى اتِّبَاعِ حَبِيبِهِ مَا ذَا تَقُولُ لِكَامِلٍ مُتَدَارِكِ[193]

---

[191] صلّى الله عليه وسلّم.

[192] شخصيّة الشّيخ الحاج مالك صفحة 11.

[193] ديوان الشيخ الخليفة أبي بكر سه. ومطلع القصيدة.

ما لدّهر جاد بمالك وكمالكي كالدّهر مرَّ بمالك للمالك

ويقول أيضا:

يَـا سَـائِـلًا سُـنَـنَ الـهَـادِي وَشِـيـعَـتَـهُ فِيمَا الإِقَامَةُ فِي حَوْضٍ وَضَحْضَاحِ[194]

أُرِيـكَ دَهْـمَـاءَ هَـذَا العَصْرِ قَـائِـدَنَـا عَـنْ وَحْـلَـةِ الجَـهْـلِ فِي إِنْـقَـاذِ أَرْوَاحِ

وممّا يجسّد هذه الشّخصيّة الدّينيّة لديه أيضا، أنّه كان عابدا ناسكا بالغ القمّة في العبادة، مخلصا فيها، راضيا بعبوديّته، لا يلهيه شيء عن ربّه جلّ علاه! وكان يقول[195]:

مَنْ يَلْتَفِتْ لِغَيْرِهِ فَلَاهِ..... أي من يلتفت طرفة عين لغير الله فهو غافل ضالّ.

ولم يكن ـ أبدا ـ يسلك في العبادات مسالك الرّخص والتّأويلات، بل كان يقدَم إلى ربّه بالعزائم والاحتياطات، فهو كما قال الشاعر: إن كان به عيب في مجال العبادة فهو شدة احتياطه في الأمور والمسائل التعبّديّة، وأحرى إذا كانت من المسائل المشكوك فيها! ...

فبهذه الشّخصيّة الدّينيّة القويّة كان الشّيخ الحاج مالك وليّا يقضي كلّ أوقاته في إعلاء منار الدّين وشمسه لتصل أشعّته وأنواره إلى جميع البقاع في العالم اقتفاء برسول الله ﷺ في ذلك. وصدق الشّيخ أبوبكر رضي الله تعالى عنه حيث يقول:

وَالـدِّيـنُ مُـنْـهَـدِمُ الأَرْكَـانِ يَـرْفَـعُـهَـا وَصَـارَ مُـعْـتَـدِلَ الأَرْكَـانِ يَـا صَـاحِ

ولهذا كان الشيخ الحاج مالك دليلا لضالّ بل دلّيلا لضلّيل، لا يهدي إلّا إلى المولى عزّ وجلّ، كما قال الشّيخ محمّد الهادي رضي الله تعالى عنه[196]:

كَـمْ عَـابِـدٍ زَاهِـدٍ كَـمْ عَـالِـمٍ وَرِعٍ كَـمْ سَـالِـكٍ وَاصِـلٍ لَـوْلَاكَ مَـا كَـانَـا

---

[194] ديوان الشيخ الخليفة رضي الله تعالى عنه، ومطلع القصيدة:

يامن درى أنّه مخصوص أمداحي في الإقامة في حوض وضحضاح

[195] في كتابه (فاكهة الطّلّاب، أو جامع المرام) صفحة 153 من الدّيوان الجديد \ طبعة دار أبي رقراق\ المغرب.

[196] ديوان الشّيخ الهادي، صفحة 60.

وغير هذه من شواهد تشهد بأنّ الشّيخ الحاج مالك كان يتقمّص شخصيّة دينيّة رفيعة المستوى، تمثّل عمادا رفيعا وقويّا للدّين الإسلامي، يبيّن للنّاس فرائضه ومندوباته، ويجدّد معالمه المنطمسة، وعلاماته المندرسة، ويرشد النّاس إلى الرجوع إلى خالقهم وإعطائه ما يستحقّ من العبادة والمعاملة، وكلّ ذلك تحت ضوء الكتاب والسّنّة النّبويّة الغرّاء. ولله درّ الشيخ علي غي في هذه المرثيّة حيث قال:

هَدَى أَنْفُسًا ضَلَّتْ عَنِ الرُّشْدِ فَاهْتَدَتْ فَصَامَتْ وَقَامَتْ لَيْلَهَا بِتَهَجُّدِ
أَتَى وَبِقَاعُ السُّودِ ظُلْمٌ وَظُلْمَةٌ فَقَامَ بِسَيْفِ الهَمِّ بِالحَزْمِ مُجْرَدِ
فَجَاهَدَ فِيهَا بِالسِّيَاسَةِ وَالنَّدَى وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ فَاهْتَدَى كُلُّ مُعْتَدِي

شخصيّته الخُلقيّة

يقول الشّيخ علي كي، رحمه الله:

وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ جِهْبِذٍ حَبِيبٍ خَلِيلِ الكُلِّ بَرٍّ .....
وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ وَالِدٍ رَؤُوفٍ رَحِيمٍ كَاشِفِ الغَمِّ مُنْجِدِ
..... تَقِيٍّ نَقِيٍّ غَازِرِ الجُودِ مُزْبِدِ
لَقَدْ نَامَ ذُو عِرْضٍ كَرِيمٍ مُهَذَّبٍ أَبِيٍّ عَنِ الأَدْنَاسِ طَهَّارُ مَحْتِدِ
دَمٌ خَالِصٌ لَا يَقْدِرُ الحَمْلَ ذَرَّةً مِنَ الضَّيْمِ عَوْنٌ لِلْأَحِبَّا وَحُسَّدِ
تُغَيِّبُهُ عَنَّا وَفِينَا تَفَجُّعٌ تَرَى صَدَفًا فِيهِ يَتِيمُ زَبَرْجَدِ
وَمِنْ عَجَبٍ حَمْلُ الأَخِلَّا بِنَعْشِهِ وَمَحْمُولُهُ صَبْرًا وِزَانٌ بِجَلْمَدِ
عَلِيٌّ جَمِيلُ الذِّكْرِ حَازَ مَنَاقِبًا حَوَتْ نَيْلَ إِعْجَازٍ بِتَعْدَادِ عُدَّدِ
وَلِيٌّ رَفِيعُ الصِّيتِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَكَمْ لِغَرِيبٍ مِنْهُ خَيْرُ تَزَوُّدِ
أَبَى جَاهُهُ عَنْ كُلِّ لَاجٍ بِظَهْرِهِ اغْـ ـتِرَابًا وَضَيْمًا مِنْ قَرِيبٍ وَأَبْعَدِ
إِذَا نَحْنُ جِئْنَا نَحْوَهُ مِنْ تَعَلُّمٍ وَجَدْنَاهُ سَهْلًا لَيِّنًا لَمْ يُشَدِّدِ
مَتَى جَاءَ قَوْمٌ عَضَّهُمْ قَحْطُ مَحْلِهِمْ أَتَاهُمْ بِغَيْثٍ هَاطِلِ الجُودِ مُرْغِدِ

إلى الآن يطلب منا الشاعر في هذه الأبيات أن نتفكّر في شخصيّة أخرى من شخصيّات الشّيخ الحاج مالك رضي الله تعالى عنه، وهي شخصيّته الخلقيّة، لأنّه (الشيخ) كما قال الشّيخ محمّد المنصور[197]:

فَفِيهِ كَانَتْ خِصَالُ الخَيْرِ قَدْ كَمُلَتْ لِمْ لَا وَهُو مِنْ رِجَالِ اللهِ مَعْدُودُ

ويخبرنا بأنّه كان جهبذا ـ والجهبذ الخبير بغوامض الأمور ـ بمعنى أنّه كان من أخلاقه التّأنّي والتّريّث والتّدقيق في كلّ ما يقول ويفعل، وهذه ميزة رائعة في حياة الإنسان بحيث لا يدخل في شيء إلّا بعد أن أحاط به خبرا.

ومن أخلاقه أيضا أنّه رضي الله تعالى عنه كان حبيبا للناس خليلا لهم، يبسط لهم جناحي البرّ، ويفتح لهم صدره الرّحب، ويلين لهم الجناب، مصداقا بقول الله عزّ وجلّ: " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّا غليظ القلب لا انفضّوا من حولك"[198]

ويصدّق هذا الشّيخ محمّد المنصور في قوله:

لَيْنُ الجَنَابِ وَقُورٌ كَانَ ذَا شَفَقٍ عَلَى المَسَاكِينِ لِلْأَيْتَامِ تَمْهِيدُ

وكان أيضا رؤوفا رحيما، يقف للنّاس موقف والد يكشف غمومهم، ويزيل كروبهم وهمومهم، ويمدّ لهم يد العون والنّجدة، مسوّيا في ذلك محبّيه ومبغضيه،! **(فَكَمْ لِغَرِيبٍ مِنْهُ خَيْرُ تَزَوُّدِ)**

وَمِنْ عَجَبٍ تَمْيِيزُكَ الحِبَّ عِنْدَهُ بَغِيضًا بِمَا يَحْوِيهِ مِنْ حُسْنِ سُؤْدَدِ

وكما قال ابنه الشّيخ محمّد المنصور:

مَنَّ عَلَيْنَا بِشَيْخٍ وَالِدٍ رَحِمٍ بَرٍّ عَطُوفٍ مُغِيثٍ فِيهِ تَجْوِيدُ

وأيضا كان تقيّا نقيّا جوادا يبذل بلا حدّ، وينفق إنفاق من لا يخاف الفقر والتّقتير!

---

[197] ديوان الشّيخ محمّد المنصور سه صفحة 30.

[198] آل عمران آية 159 .

مَتَى جَاءَ قَوْمٌ عَضَّهُمْ قَحْطُ مَحْلِهِمْ أَتَاهُمْ بِغَيْثٍ هَاطِلِ الجُودِ مُرْغِدِ

ويشهد هذا الشيخ محمّد فال بن المختار الدَّيماني: حيث قال:

الحَاجُ مَالِكُ إِنْ يُلْمِمْ بِهِ أَحَدٌ يَجِدْهُ كَالغَيْثِ إِنَّ الغَيْثَ جَوَّادُ
يَجِدْ كَرِيمًا جَوَادًا سَيِّدًا وَرِعًا وَجُودُهُ بِازْدِيَادِ الدَّهْرِ يَزْدَادُ
هُوَ الجَوَادُ الكَرِيمُ الذْ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَأَمْوَالٌ وَأَوْرَادُ
يُعْطِي الجَزِيلَ عَطَاءً لَا يُمَنُّ وَلَنْ يَسُودَ إِلَّا بِبَذْلِ المَالِ أَسْيَادُ
وَدَارُهُ دَارُ ظِلٍّ لِلتُّقَى بُنِيَتْ أَسَاسُهَا الدِّينُ وَالإِكْرَامُ وَالزَّادُ
لَهُ مَصَابِيحُ لَا تَنْفَكُّ مُوقَدَةً مِنْ كُلِّ مَا وِجْهَةٍ يَأْتِيهِ أَوْفَادُ
وَبِئْرُهُ عَذْبَةٌ جَمَّاءُ طَيِّبَةٌ يَعْتَادُهَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ رُوَّادُ

وكما كان طاهر الأصول والفروع، ذا نفس أبيّة، وذا دم خالص صفيّ نقيّ لا يقدر على حمل شيء ولو قدر ذرّة من الذّل والضيم، فإنّه ـ مع ذلك ـ كان يحفظ عرضه عن كلّ ما يدنّس ويشين، وكان يأخذ الحيطة والحذر في كلّ ما يأتي ويذر. فإنّه رضي الله تعالى عنه نادر في طهارته ونقاوته كيتيم درّ في صدفه!

مَا رِيءَ مُرْتَكِبًا أَمْرًا يُعَابُ بِهِ بَلْ كَانَ مُقْتَفِيًا لِسَيِّدِ البَشَرِ[199]

ومن أخلاق الشّيخ الحاج مالك الحميدة، الصّبر والتّجلّد والتّحمّل، فقد كان كالجبل الشامخ الرّاسخ في القوّة الاحتماليّة، والمواقف الشّاهدة على هذا كثيرة، ومنها ثباته واستقراره أمام الحياة الاستعماريّة آنذاك، وما شهد له التّاريخ من القوّة الإيمانيّة، والنّصرة على الحقّ، إضافة إلى حسن السّياسة التي بها تمّت عرقلة كثير من خطط المستعمرين وحيلهم آنذاك!

[199] الشّيخ محمد تابان. في كتابه مواهب الوهّاب. صفحة 96 من المجموعة.

ومن أخلاقه أيضا التّواضع، فقد كان سهلا ليّن الجناب متواضعا ومتسامحا مسامحا، لاسيّما في مجال العلم والتعليم! فقد كان يستقبل التّلاميذ برحابة صدر وبشاشة وجه، ولم يكن أبدا يتظاهر بالعلم، ويشدّد عليهم شأنَ كثير من حملة العلم ورجال التّعليم!

فهو من النّاحية الخلقيّة؛ كما قال الشيخ علي كي فقط:

صَفِيٌّ نَصُوحٌ فَاقَ عِلْمًا وَسُؤْدَدًا وَمَا عَابَهُ غَيْرُ اللَّئِيمِ الـمُعَرْبِدِ

نجّانا الله من اللؤم والعربدة!

شخصيّته العلميّة:

يقول الشاعر:

وَمِنْ عَجَبٍ تَغْسِيلُهُ الكُلَّ قُلَّةٌ وَفِي صَدْرِهِ مِلْبَحْرِ أَعْظَمِ مُزْبِد
وَمِنْ عَجَبٍ يَحْوِيهِ قَبْرٌ وَصَدْرُهُ بِتَوْسِيعِ أَرْضٍ وَالسَّمَاءِ الـمُصَمَّدِ
إِذَا اجْتَمَعَ الأَشْيَاخُ فَهْوَ خَطِيبُهُمْ بِوَعْظٍ بَلِيغٍ مِنْ فَصَاحَةِ مِذْوَدِ
أَلَا إِنَّهُ شَيْخُ الـمَشَايِخِ كُلِّهِمْ فَكَمْ عَيْلَمٍ مِنْهُ احْتَوَى مِنْ تَمَدُّدِ
فَلِلَّهِ بَدْرٌ طَالِعٌ نَحْوَ غَرْبِنَا وَأَشْرَقَ لَيْلَ الجَهْلِ شَرْقِيَ مَقْصِدِ
وَمَنْ لِي بِإِخْرَاجِ الحَقَائِقِ نَاصِحًا وَمَنْ لِي بِتَدْرَاسِ الكِتَابِ وَمُسْنَدِ
وَمَنْ لِي بِوَرْشٍ بَلْ جُنَيْدٍ وَالَاشْعَرِي وَمَنْ لِي بِنَادَابٍ وَضَرْبِ الـمُعَدَّدِ
وَمَنْ لِي بِبَذْلِ الفِقْهِ وَالنَّحْوِ مَنْطِقٍ بَيَانٍ مَعَانِيهَا بَدِيعِ بِمُسْعِدِ
وَمَنْ لِي بِنَجْمٍ فِي النُّجُومِ وَمُوصِلٍ أُصُولًا عَرُوضًا سِيرَةَ البَدْرِ مِقْوَدِي
وَمَنْ لِي بِتَأْلِيفٍ يُذَكِّرُ مَنْ مَضَى قَدِيمًا عَلَى نَهْجِ الرَّسُولِ مُسَدَّدِ
كِفَايَتُهُ تَكْفِي لِمَنْ كَانَ رَاغِبًا بِحَضْرَةِ رَبِّ الخَلْقِ خَيْرَ تَزَوُّدِ
وَأَفْحَمَ إِفْحَامُ السَّمَيْدَعِ مُنْكِرًا أَبَا الفَيْضِ مِمْدَادَ الرِّجَالِ الـمُجَدِّدِ

يتحدّث الشّاعر في هذه الأبيات عن شخصيّة الشّيخ الحاج مالك العلميّة وعلوّ كعبه في العلم والمعرفة. ويتعجّب في إمكانيّة غسله بيسير من الماء، (مقدار قلّة) واحتواء مساحة قبر ضيّق على جثمانه الطّيّب؛ مع أنّ في صدره من العلم ما يملؤ البحر بأمواجه وأزباده، بل ما يملؤ الأرضَ والسّماء! فهو إذا اجتمع العلماء فهو عالمهم، وإذا تجمّع الخطباء فهو خطيبهم، بل إذا تكتّل الأشياخ فهو شيخهم، فإنّه شيخ المشايخ كلّهم، وعالم العلماء وخطيب الخطباء كما قال صاحب المرثيّة.

فكم من عالم زاره لينتفع من علمه الغزير! فتلاميذ الشّيخ الحاج مالك لم يكونوا كلّهم في مستوى واحد؛ بل إنّ منهم من كانوا علماء أصحاب مناصب دينيّة رفيعة قبل أن يفدوا إليه، بحاجاتهم المختلفة، لعلمهم بأنّه فريد من نوعه في زمانه. فهو بدر طلع في غرب إفريقيا وأشرق ظلمة الجهل وليله في جميع الجهات التي وصل نوره إليها، ولله الحمد والمنّة.

إذن من يعيننا ـ بعد رحيله ـ على إخراج حقائق العلم وخالصه؟! ومن ينوب عنه في تعليم المسلمين كتابَ الله الكريم والأحاديث النّبويّة الشّريفة؟! ومن يشبهه في التّمكّن في جميع أصناف العلوم؛ لأنه ـ رحمه الله ـ كان ورش زمانه في علم القراءات، وجنيد أوانه في التّصوّف وعلومه، وأشعريّ جيله في التّوحيد وعلومه! وأديب عصره، ورياضيّ عهده، وفقيه حينه، ونحويّ ساعته، ومنطقي فترته، وبيانيّ دهره، وفلكيّ حقبته، ومصدر العروضيّين، وموسوعة المؤرّخين، رحمه الله ورضي عنه.

ومن يمدّنا ـ بعد الشّيخ ـ بجملة التّآليف العلميّة الذّهبيّة التي تذكّرنا تآليف المتقدّمين الذين وضعوا أقدامهم على نهج الرّسول ﷺ ككتابه في الشّريعة الإسلاميّة، المسمّى ب (**كفاية الرّاغبين، فيما يهدي إلى حضرة ربّ العالمين**) وكتابه في الحقيقة والتّصوّف (**إفحام المنكر الجاني**)، وغيرهما من مؤلّفاته الزّاخرة النّافعة.

قلت: فهذان الكتابان من أهمّ كتب الشّيخ الحاج مالك التي تسفر عن مدى اهتمامه بالاستقامة وتقويم ما اعوجّ في مجتمعه ـ كما سيظهر في المبحث الموالي ـ وسوق النّاس نحو ربّهم الذي خلقهم ولم يأمرهم في الدّنيا إلّا ليعبدوه.

كما يكشفان أيضا عن بلوغ الشّيخ الأوْجَ في القراءة وسعة الاطّلاع والتّعمّق في التّفكير والتّدبير، وكلّ ذلك على نهج سنّة خير الخلق وصفوته صلوات الله وسلامه عليه.

شخصيّته الإصلاحيّة:

قال الشّاعر:

وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ جِهْبِذٍ حَبِيبٍ خَلِيلِ الكُلِّ بَرٍّ وَمُرْشِدِ
وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ مُسْلِكٍ طَرِيقَ كِرَامِ القَوْمِ صَافٍ مُزَهَّدِ
وَلَكِنْ تَفَكَّر كَيْفَ ضِجْعَةُ وَاصِلٍ إِلَى رَبِّهِ نَدْبٍ إِمَامٍ مُسَدِّدِ
فَلَمْ يُرَ يَهْتَمُّ الكَرَامَاتِ قَائِلًا وَمَا هِيَ إِلَّا سُكَّرٌ فَاحْذُ تُرْشَدِ
فَلَمْ يُرَ يَهْتَمُّ الكَرَامَاتِ قَائِلًا وَمَا هِيَ إِلَّا سُكَّرٌ فَاحْذُ تُرْشَدِ
وَفِي مَرَّةٍ أُخْرَى لِمَنْ رَامَ نَيْلَهَا أَلَا هِيَ حَيْضٌ لِلرِّجَالِ بِهَا اصْدُدِ
مَنُوعٌ عَنِ التَّفْرَاحِ بِالكَشْفِ قَائِلًا فَمُشْتَرَكُ الكُفَّارِ وَالمُتَعَبِّدِ
يَرَى غَيْرَ إِفْرَادِ الإِلَهِ لِمَقْصِدٍ حِجَابًا كَكُمَّالِ الفُحُولِ وَزُهَّدِ
هَدَى أَنْفُسًا ضَلَّتْ عَنِ الرُّشْدِ فَاهْتَدَتْ فَصَامَتْ وَقَامَتْ لَيْلَهَا بِتَهَجُّدِ
أَتَى وَبِقَاعُ السُّودِ ظُلْمٌ وَظُلْمَةٌ فَقَامَ بِسَيْفِ الهَمِّ بِالحَزْمِ مُجْرَدِ
فَجَاهَدَ فِيهَا بِالسِّيَاسَةِ وَالنَّدَى وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ فَاهْتَدَى كُلُّ مُعْتَدِي
فَصَارَتْ زَوَايَا فِي قُرَاهَا جَمِيعِهَا مِلَاءً بِفَوْجٍ رَاكِعِينَ وَسُجَّدِ
لِأَصْوَاتِهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَوِيٌّ لَدَى كُلِّ الزَّوَايَا وَمَسْجِدِ
جَزَاهُ عَنِ الإِخْوَانِ رَبِّيَ خَيْرَمَا جَزَى كُلَّ شَيْخٍ بِاحْتِرَامٍ مُؤَبَّدِ
وَمَنْ لِي بِبَحْرٍ يُسْتَغَاثُ بِوِرْدِهِ وَأَمْوَاجُهُ يُرْوَى بِهَا غُلَلُ الصَّدِّ

وَمَنْ لِي بِأُسْتَاذٍ يُرَبِّي مُرِيدَهُ بِلَا خَلْوَةٍ بَلْ هِمَّةٍ مِثْلَ أَحْمَدِ

تفصح هذه الأبيات عن شخصيّة أخرى مهمّة من الشخصيّات المتعدّدة التي كان تقمّصها الشّيخ الحاج مالك، وهي شخصيّته الإصلاحيّة، والمنهج الذي فضّله في إصلاحه، فنقول:

إنّ الشّيخ الحاج مالك كان من أوائل المجدّدين المصلحين الذين قاموا للدّين خير قيام، وأزالوا عنه ستار الجهل ونفضوا عنه الغبار حتّى أصبح واضح المعالم بيّن المسالك.

والمنهج الذي سلكه في هذه العمليّة الإصلاحيّة هو منهج التّصوّف السّنّي الخالي من شوائب العادات والتقاليد التي لا علاقة لها بالدّين.

فينبّه الشّاعر ـ رحمه الله ـ إلى ضرورة التفكّر في خطورة رحيل الشّيح الحاج مالك الذي كان يُسلك النّاس مسلكَ الصّالحين وطريقَهم، بعد أن علّمهم وربّاهم وأرشدهم، حتّى صاروا أصفياء وزهّادا، واصلين إلى ربّهم راضين مرضيّين.

فلقد كان جادّا في منهجه هذا، دقيقا فيه يحدّه دائما كي لا يتسرّب إليه ما ليس فيه. ولهذا لم يكن يعوّل إلّا على الكتاب والسّنّة، نابذا في العراء غيرهما من الكرامات والكشوفات، ويحذّر منها! ويعتبر الكرامات دم الحيض الذي تستحيي المرأة أن يراه غيرها، فتصوّر لو كان الحائض ذكرا !!! وأمّا الكشوفات فهي لا قيمة لها؛ لأنه يشترك فيها المسلم والكافر، كلّ حسب درجته فيما هو فيه. ولهذا كان الشّيخ الحاج مالك يسلك مسلك الكمّال والزّهّاد معتبرا كلّ شيء غير إفراد الله حجابا يحجبهم عن الله تعالى فيحيدون عنه إلى ربّهم الباري عزّ وجلّ.

وبهذا المنهج القويم الحصين هدى الشّيخ الحاج مالك أناسا كانت أنفسهم ضالّة عن طريق الحقّ والرّشد حتّى اهتدَوا، وصاروا من الرّكّع السّجّد الصّوّم الذين قال الشّاعر في حقّهم:

أُوْلَـئِـكَ أَهْلُ اللهِ نُـوَّابُ رُسْلِهِ وَإِنْ نِـيـمَ لَا يُـلْفَـوْنَ إِلَّا نَـوَاصِبَا

كلّ هذا من عمل الشّيخ الحاج مالك الذي أظهره الله في إفريقيا السّوداء التي كان يسود فيها الظّلم والجور والتّطاول على الحقوق، واعتداء الأقوياء على الضعفاء! والظّلمة الشّديدة المتمثّلة بثبات الجهل ورسوخ الضّلال وعمومه. ومع كلّ هذا قام الشّيخ الحاج مالك مقاوما كلّ ذلك بسيف الهمّة والعزم والحزم، ومجاهدا حقّ الجهاد باستخدام سلاح السّياسة والسّخاء والعلم والحلم، حتّى اهتدى المعتدون، ورَشَد الضّالّون، واستقام المعوجّون. فملأوا المساجد والزّوايا، وعمّت أصواتهم ـ بذكر الله ليلا ونهارا ـ جميع الأرجاء مع حضور تام واستحضار أتم! وصدق الشّيخ محمّد الهادي توري رحمه الله تعالى في قوله:

فِي الكُلِّ مِنْهَا زَوَايًا مِنْكَ مَنْشَأُهَا لَهَا دَوِيٌّ بِذِكْرِ اللهِ مَوْلَانَا
لَا سِيَّمَا فِي مَسَاءٍ وَالصَّبَاحِ إِذَا جَاءُوا الوَظِيفَةَ أَشْيَاخًا وَشُبَّانَا
لَاسِيَّمَا بَعْدَ عَصْرٍ فِي العَرُوبَةِ إِذْ مِنْ حَضْرَةِ القُطْبِ يَأْتِي الفَيْضُ هَتَّانَا
يُرَدِّدُونَ بِأَفْكَارٍ وَأَلْسِنَةٍ اللهَ اللهَ بِالأَصْوَاتِ بَيَّانَا
مَا بَيْنَ مَطْرُوقِ رَأْسٍ سَاكِنٍ وَجِلٍ وَرَافِعِ مَائِدٍ يَحْكِيكَ سَكْرَانَا
مُغَمِّضِينَ عُيُونًا لِلتَّصَوُّرِ لِلْـ ـحُضُورِ رَائِينَ فَتْحَ العَيْنِ غَفْلَانَا
هُنَالِكَ المَدَدُ السارِي إِلَى النُّجَبَا مِنَ التَّلَامِيذِ مِنْ عِنْدِ ابْنِ عُثْمَانَا
أُوْلَائِكَ القَوْمُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ وَأَصْـ ـحَابُ الرَّسُولِ وَأَصْحَابُ ابْنِ عُثْمَانَا[200]

جزى الله الشيخ الحاج مالك خير ما جازى به أمثاله الشّيوخ.

ولم يزل الشّاعر يبكي ويستغيث بمن يعينه ـ بعد رحيل الشّيخ الحاج مالك ـ على وجود شيخ آخر يأتي بأوراد وأذكار تشبه أوراد الشّيخ الحاج مالك التي يروى بها الغليل، ويشفى

[200] الشّيخ محمّد الهادي توري رضي الله تعالى عنه.

بها المريض، والتي كان الشّيخ الحاج مالك يربّي بها مريديه دون أيّة خلوة ولا اعتزال، فالأمر كما قال القائل[201]:

بِلَا خَلْوةٍ رَبَّى وَرَبَّوا بِخَلْوَةٍ فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ اليَزِيدَيْنِ مَنْهَلَا

فهو ـ بفضل الله وتوفيقه ـ قد ورث أبا الفيض وقطب الأقطاب نجل مَحمّد الشريف الفاطميَّ أبا العبّاس أحمد التّجاني رضي الله تعالى عنه.

شخصيّته القياديّة:

قال الشّاعر:

وَلَكِنْ تَفَكَّرْ كَيْفَ ضِجْعَةُ مُهْتَدٍ كَنَجْمِ الدُّجَى بَلْ بَدْرِهَا المُتَوَقِّدِ
وَلَوْ أَنَّهُ شَخْصٌ يَنَامُ بِرُوحِهِ وَلَكِنْ بِأَرْوَاحِ القُلُوبِ مِنَ اعْبُدِ
سُلَيْمَانُ أَمْرٍ مُوسَوِيٌّ بِنَجْدَةٍ خَلِيلِيُّ دِينٍ سُنِّيٌ لِمُحَمَّدِ
عَلَى نَفْسِهِ كَمْ أَكْثَرَ الضُّرَّ وَالأَذَى لِنَفْعِ البَرَايَا وَالإِلَهُ بِمَرْصَدِ
أَبَى جَاهُهُ عَنْ كُلِّ لَاجٍ بِظَهْرِهِ اغْـ ـتِرَابًا وَضَيْمًا مِنْ قَرِيبٍ وَأَبْعَدِ

من هذه الأبيات نستشفّ شيئا من شخصيّة الشّيخ الحاج مالك القياديّة. والقيادة هي: عمليّة التّأثير على نشاطات وسلوك الآخرين، جماعات كانوا أم أفرادا للقيام بما يراد منهم القيام به عن رضا وطاعة، لتحقيق أهداف محدّدة في وضع معيّن"[202]

وعلى هذا يطلب منّا الشّاعر ـ كعادته ـ أن نتعمّق في التّفكير في رحيل هذا القائد العظيم والإمام الحكيم الذي بقيادته وبسالته أنقذ كثيرا من المسلمين من ظلمة الجهل وظلم

---

[201] السّيّد محمد بن أنبوجه الشّنقيطي التّيشي.

[202] من كتاب المهارات القياديّة لقادة المستقبل. إعداد وتقديم : د. إسماعيل محمّد الحفصي.

الجاهلين. لأنّه كان يهتمّ بأمور المسلمين أكثر من اهتمامه بشؤونه الخاصّة، يسعى لحاجاتهم ويبيت بأرواحهم وساطة بينهم وبين ربّهم.

فالشّيخ الحاج مالك ـ كما قال الشّاعر ـ بقيادته ونفوذ أمره وسيطرته على نفسه يشبه نبيّ الله سليمان، عليه السّلام.

وبنجدته وبسالته، يحاكي نبيّ الله موسى عليه السّلام.

وفي التّديّن والاستقامة، شبيه بإبراهيم الخليل، عليه السّلام.

وبتمسّكه بالسّنّة المحمّديّة، يقتفي أثر الرّسول المصطفى ﷺ.

سُلَيْمَانُ أَمْرٍ مُوسَوِيٌّ بِنَجْدَةٍ خَلِيلِيُّ دِينٍ سُنِّيٌ لِمُحَمَّدِ

هذا، ونعم هذا القائد الذي كم وكم أضرّ بنفسه وتحمّل أذى النّاس في الظّاهر والباطن دون ملل ولا سأم! وما حمله على ذلك إلّا صفته القياديّة التي تدفعه إلى السّعي دائما وراء حوائج النّاس، والتي تُمدّه جاها وإباءة يدفعان الضّيم والغرابة عن كلّ قريب أو بعيد جاء لاجئا إلى ظهره رضي الله تعالى عنه.

هذا هو العالم الإفريقي الشّيخ الحاج مالك الذي قضى حياته كلّها لنفع عباد الله حسّا ومعنى متقمّصا بشخصيّات بارزة يندر جدّا أن تجتمع في شخص واحد، وتلك نعمة من نعم الله التي لا تنتهي ولا تُحصر، يمنّ بها على من يشاء من عباده.

الخاتمة:

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، المنعم الواهب النعم والعطاءات، متمّم النّيّات والمشروعات، حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده.

الذي وفّقنا لإكمال هذا البحث الوجيز، الذي كنّا ننوي فقط تتبّع آثار أحد السّلف الصّالح وتعاليمهم والنّهل من ينابيعهم، وللارتواء من منابعهم، من خلال داليّة الشّاعر المتمكّن الشّيخ علي غي التي رثى بها الشّيخ الحاج مالك، وذكر فيها كثيرا من مناقبه وصفاته.

ولوجازة هذا البحث لقد حاولنا رصد هذه الصّفات وتلخيصها في سطور بعد تصنيفها إلى خمسة أصناف اعتبرناها شخصيّات كامنة في شخص الشّيخ الحاج مالك رضي الله تعالى عنه، تستحقّ الإشارة عليها والتّحدّث عنها ليُقتدى بها ويتخلّق بها لأنها مهمّة جدّا في حياة الإنسان أحرى إذا كان مسلما. وهي كما ذكرناها في المقدّمة:

ـ الشّخصيّة الدّينيّة.

ـ الشّخصيّة الخُلقيّة.

ـ الشّخصيّة العلميّة.

ـ الشّخصيّة الإصلاحيّة.

الشّخصيّة القياديّة.

هذه هي الشّخصيّات الخمس التي حاولنا استخلاصها من الدّاليّة، وتلخيصها في عبارات ليسهل أخذها والاستفادة منها.

والحمد لله على تمام هذا العمل المتواضع، سائلا الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه ونافعا للمنتفعين، شافيا للمستشفين، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله وسلمّ على شفيع الأمّة، وكاشف الغمّة، سيّدنا وحبيبنا وشفيعنا محمّد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الباحث.

المصادر والمراجع

1ـ القرآن الكريم.

2 ـ مواهب الوهّاب المالك، في التّعريف بالشّيخ الحاج مالك. ت: محمّد بن عبد الله الملك المجلسي، المشهور ب (محمّد تابان)، بصيغة PDF

3 ـ أوضح المسالك، في التّعريف بحياة ومناقب الشّيخ الحاج مالك، وقانا الله بجاهه المهالك. ت: الشّيخ الحاج عبد العزيز سه الدّبّاغ، رضي الله تعالى عنه. (مطبوع ضمن مع ديوانه) بمطبعة بني ازناسن\ 13، الحيّ الصّناعي الزّهرا، الوجلة ـ سلا.

4 ـ تحفة الإخوان، في ترجمة تعريف مقام شيخنا ذي العرفان، الحاج مالك، وقاه الله شرّ المهالك، ت: الشّيخ إبراهيم جوب السّنلويسي. بصيغة PDF

5 ـ صفحات من تاريخ السّنغال، عبر العصور. ت: الأستاذ عثمان انجاي، GANDIAYE ومراجعة الدّكتور عبد الغفّار، كلّيّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة. مطبوع.

6 ـ منظومة هديّة المحتاج إلى حياة الشّيخ الحاج. لبابا عبد العزيز سه شيخ التّواوني.

7 ـ كفاية الرّاغبين، فيما يهدي إلى حضرة ربّ العالمين، للشّيخ الحاج مالك، بتحقيق الأستاذ الحاج عبد امبنغ. مطبوع.

8 ـ زاد المشمّر، لدخول حضرة الملك المقتدر، للشّيخ عبد العزيز سه الدّبّاغ رضي الله تعالى عنه. (مطبوع ضمن ديوانه)

9 ـ مجهول الأمّة السّنغاليّة للشّيخ أحمد التّجاني سي المكتوم.

10 ـ فاكهة الطّلاب، أو جامع المرام، للشّيخ الحاج مالك سه. (مطبوع مع ديوانه: مجمع الكنوز العلميّة والمعادن العرفانيّة، من ديوان العلّامة الشّيخ الحاج مالك سه، عليه

رضا الإله المالك. جمع وترتيب وتنسيق ومراجعة اللجنة العلميّة الثّقافيّة التّابعة للحضرة المالكيّة التّجانيّة. تواون ـ السّنغال. مطبعة دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر.)

11 ـ شخصيّة الشّيخ الحاج مالك سه، رضي الله تعالى عنه. دراسة تحليليّة نقديّة.

ت: الفوج الثّاني من أبناء الحضرة المالكيّة، بمعهد محمّد السّادس، لتكوين الأئمّة المرشدين والمرشدات\ بالرّباط (المملكة المغربيّة)

12 ـ إفحام المنكر الجاني، على طريق سيّدنا ووسيلتنا أحمد بن محمّد التّجاني، رضي الله تعالى عنه. للشيّخ الحاج مالك سه، (مطبوع ضمن الدّيوان المذكور أعلاه)

13 ـ كتاب الفيّاض، مجموع محاضرات الشّيخ الحاج عبد العزيز سه الأمين رحمه الله ورضي عنه. (مطبوع)

14 ـ ديوان الشّيخ محمّد الهادي توري، رحمه الله ورضي عنه. (مطبوع)

15 ـ ديوان الشّيخ الخليفة أبي بكر سه رحمه الله ورضي عنه. (مخطوط)

16 ـ اليواقيت العرفانيّة من الفيوضات الرّبّانيّة، ديوان الشّيخ محمّد المنصور سه رحمه الله ورضي عنه. بصيغة PDF

17 ـ شرح ابن عقيل، على ألفيّة ابن مالك.

18 ـ العالم المتصوّف الموريتاني، الشّيخ سعد أبيه\ حياته ودوره في ضفّتي نهر السّنغال.

ت: د. محمّد الأمين أن باريك\ جامعة حائل، السّعوديّة.

19 ـ البلاغة الواضحة. ت: علي الجارم ومصطفى أمين. (مطبعة دار المعارف)

20 ـ المهارة القياديّة، لقادة المستقبل، إعداد وتقديم: د. إسماعيل محمّد الحفصي.

21 ـ الدّكتور روحان امبي، أستاذ كرسي بجامعة شيخ أنت جوب. دكار ـ السّنغال.

22 ـ الأستاذ الإمام عثمان انجاي، GANDIAYE

23 ـ الأستاذ عبد العزيز غي، ابن الشّيخ طاهر غي ابن الشيخ مور أست غي، أخ الشّيخ علي غي رحمه الله ورضي عنه.

الفهرس

خطّة البحث 2

مقدّمة البحث: 5

أهمّيّة البحث: 6

أهدافه: 6

إشكاليّة الموضوع: 6

المنهج المتّبع: 7

الفصل الأول: دراسة شخصيّة. 8

ـ المبحث الأوّل: نبذة عن حياة الشّيخ الحاج مالك. 8

شخصيّة الشّيخ الحاج مالك: 8

ـ نبذة عن حياته: 8

تعريفه: 8

أصوله من الجهتين (نسبه) 9

ـ ولادته ونشأته (التّاريخ والمكان وشيء من قصّة تعارف الوالدين) 11

تعلّمه، والمراكز العلميّة التي مرّ بها: 14

مدرسته: 17

إنجازاته رضي الله تعالى عنه: **21**

• **مؤلّفاته**، ومنها: 21

وفاته وشيء ممّا قيل في حقّه من المراثي: 23

مراثيه: 24

نبذة عن حياة صاحب الدّاليّة؛ الشّيخ علي غي رحمه الله. 28

تعريفه: 28

مولده: 28

نسبه: 28

تعلّمه: 29

إنجازاته: 30

وفاته: 31

• الفصل الثّاني: دراسة القصيدة وتحليلها. 32
ـ المبحث الأوّل: نبذة يسيرة عن القصيدة: 32
ـ عرض القصيدة بكاملها: 32
غرض القصيدة وجوّها: 45
بـحـر القصيدة وقافيتها: 45
عدد أبيات القصيدة ونسخها الموجودة: 46
الدراسات والمعالجات السّابقة للقصيدة: 46
المبحث الثّاني: إبراز شخصيّة الشّيخ الحاج مالك. 52
شخصيّته الدّينيّة: 53
شخصيّته الخُلقيّة 55
شخصيّته العلميّة: 58
شخصيّته الإصلاحيّة: 60
شخصيّته القياديّة: 63
الخاتمة: 65
المصادر والمراجع 67